كيمياء المحبة

لمحات من حياة العارف الشيخ رجب علي الخياط الطهراني

تأليف
محمدي الريشهري

الباب الأول : الخصائص

الفصل الأول

حياته

ولد العبد الصالح رجب على نكوكويان المعروف بـ(جناب الشيخ)(سماحة الشيخ)، أو (سماحة الشيخ) أو الشيخ رجب علي الخياط ، عام 1300هـ.ق (1262للهجرة الشمسية) في طهران، وكان والده (مشهدي باقر) عاملا بسيط وحينما بلغ رجب علي الثانية عشر من عمره توفي والده وتركه وحيداً بلا شيق ولا شقيقة.

هذا ما حصلنا عليه من المعلومات حول فتره طفولة الشيخ إلا أنه شخصيا قال نقلا عن لسان والدته :

(حينما كنت في بطني جاء والدك – الذي كان يعمل في مطعم لبيع الكباب – ذات ليلة بكباب إلى منزل فأردت أن آكل منه إلا إنك أخذت تتحرك بشدة وترفس برجليك في بطني فراودني شعور بوجوب الامتناع عن تناول شئ من ذلك الطعام وامتنعت عن الأكل وسألت والداك .... فقال : الحقيقة هي أنني جلبت هذا الطعام بدون علم وإذن صاحب المطعم. فلم آكل شيئا منه) وهذه الحكاية تدل على أن والد الشيخ لم تكن له صفات جديرة بالذكر. وقد نقل عن سماحة الشيخ أن (إحسان أبيه وإطعامه لأحد أولياء الله أدى إلى أن يخرج هو من صلب هذا الأب) وهكذا من الله عليها بهذا المولود. كان للشيخ من الأولاد خمسة أبناء وأربع بنات توفيت إحداهن في سن مبكرة.

داره

كانت للشيخ دار بسيطة مبنية باللبن ورثها من أبيه تقع في مدينة طهران شارع مولوي زقاق سياه ها (زقاق الشهيد منتظري حاليا). وعاش فيها إلى آخر حياته.

يقول ابنه: عندما كانت تمطر السماء كان المطر ينزل من شقوق السقف إلى داخل الغرفة وجاءنا ذات يوم أحد ضباط الجيش برفقة بعض الشخصيات ورأى وضعنا بعض الأواني تحت قطرات المطر المتساقطة فذهب واشترى قطعتي أرض ووصف مكانهما لوالدي وقال: لقد اشتريت قطعتي أرض واحدة لكم وواحدة لي فقال أبي: (إن ما لدينا يكفينا)

ونقل ابنه الآخر: حينما تحسنت أموري المعاشية قلت لأبي: لدي أربع تومانات وهذه الدار المبنية باللبن تباع بستة عشر توماناً ائذن لي أن اشتري داراً جديدة في حي (شهباز) فرد علي قائلاً:
(متى ما شئيت اذهب واشتر داراً لك أما بالنسبة لي فهذا المكان يناسبني)
وبعد زواجي بنيت غرفتين في الطابق الأعلى وقلت لأبي: يا والدي العزيز، هناك شخصيات رفيعة المستوى تأتي للقائك فاجعل من هاتين الغرفتين مكانا لهذه اللقاءات فقال: (كلا لا حاجة لذلك وكل من يريدني عليه أن يأتي إلى هذه الغرفة ويجلس على هذا البساط المتواضع) كانت الغرفة التي يسكنها صغيره وفيها بساط قديم ومنضدة قديمة للخياطة.

والمثير للعجب هنا هو أن الشيخ أجر بعد عدة سنوات واحدة من غرف منزله لسائق يدعى (مشهدي يد الله) بمبلغ عشرين توماناً شهرياً إلى أن ولدت زوجة المستأجر طفلة سماها الشيخ (معصومة) وعندما كان سماحته يؤذن ويقيم في أذنيها وضع تومانين في قماطها وقال :
(ياسيد يد الله لقد ازدادت نفقاتك حالياً يمكنك أن تدفع لي من الآن فصاعداً مبلغ ثمانية عشر توماناً بدل العشرين توماناً).

⅄ ثيابه

كان سماحة الشيخ يرتدي على الدوام ثياباً بسيطة ونظيفة وكان الزي الذي يرتدي شبيها بزي علماء الدين فهو كان يرتدي باللبادة ويضع على رأسه طاقية وعلى كتفيه عباءة.
كان الشيخ يقصد التقرب إلى الله حتى في ارتداء الثياب وقد ارتدى العباءة ذات مرة من أجل إعجاب الآخرين فعوتب على أثر ذلك في عالم المعنى وقد روى بنفسه ذلك الموقف قائلاً :
(إن النفس أعجوبة فقد رأيت في إحدى الليالي أنني محجوب عن الحضور في عالم المعنى فتقصيت أسباب ذلك وفهمت بعد الإلحاح أنني في عصر اليوم الفائت حينما جاء احد أعيان طهران لزيارتي قال لي أنه يحب أن يصلي المغرب والعشاء جماعة معي فارتديت أثناء الصلاة عباءتي لغرض نيل إعجابه).

⅄ طعامه

لم يكن الشيخ يعتني بالطعام اللذيذ وإنما كان يتناول في أكثر الأحيان أطعمة

بسيطة كالبطاطا والمحلبي ويبرك عند الجلوس على المائدة ويتوجه صوب القبلة ويتناول الطعام منحنياً وكان أكثر أحياناً يحمل الماعون بيده ويتناول الطعام بشهية كاملة وكان في بعض الحالات يضع بعضا من طعامه في ماعون القريب منه ولم يكن يتكلم أثناء الطعام وكان الآخرون لا يتكلمون احتراماً له .
كان إذا دعاه أحد إلى تناول الطعام في منزله يلبي الدعوة أو يرفضها حسب الحالة .
ومع ذلك فإنه كان في أكثر الأحيان لا يرد دعوة الأصدقاء ورغم معرفته بتأثير الطعام على روح الإنسان والتغيرات التي يصيبها من جراء الطعام لكنه مع ذلك لم يكن يمتنع عن تناول أطعمة السوق.
كان ذات يوم متوجهاً إلى مدينة مشهد وهو في القطار إذ شعر بعمى باطني وبعد التوسل بينوا له أن ذلك العمى الباطني جاء نتيجة لشرب شاي القطار.

الفصل الثاني

⅄ عمله

الخياطة واحدة من الأعمال المحببة في الإسلام. وكان لقمان الحكيم يمارس هذه الحرفة وجاء في الحديث عن رسول الله (ص) أنه قال :
(عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل)
كان الشيخ يحترف الخياطة كعمل يرتزق منه للكد على عياله ولهذا عرف باسم الشيخ رجب علي الخياط ولا بأس بالإشارة إلى أن داره التي سبق الحديث عنها كانت بمثابة محل لعمله أيضا.
يقول أحد أبناء الشيخ في هذا الصدد: في بداية الأمر كانت لأبي غرفة في خان لاستراحة القوافل يمارس فيها عمله كخياط وجاء مالك الغرفة ذات يوم وقال لوالدي لا أقبل على بقائك في هذه الغرفة فما كان منه إلا أن أخلى له الغرفة في اليوم التالي بلا نقاش ولا مطالبة تعويض وسلمه إياها ونقل منضدة الخياطة إلى الدار ووضعها في غرفة قريبه من الباب متخذاً إياها كمحل لعمله.

⅄ المواظبة على العمل

كان سماحة الشيخ مواظباً في عمله إلى أبعد الحدود وكان يعمل إلى آخر حياته ليأكل من كد يده ومع أن محبيه كانوا على استعداد لتغطية نفقات حياته المتواضعة غير أنه كان يرفض ذلك وقد جاء في الحديث النبوي الشريف أن

رسول (ص) قال:
(من أكل من كد يده كان يوم القيامة في عداد الأنبياء ويأخذ ثواب الأنبياء)
وقال في حديث آخر :
(العبادة عشرة أجزاء تسعة أجزاء في طلب الحلال)
ينقل أحد أصدقاء الشيخ قائلاً: لا أنسى أنني رأيت الشيخ في السوق في يوم من أيام الصيف وكان لونه يميل إلى الصفرة من شدة الضعف. وبعد أن أشترى بعض لوازم الخياطة هم بالذهاب إلى المنزل فقلت له حبذا لو تأخذ قسطا من الراحة إذ يبدو أن حالتك الصحية ليست على ما يرام فقال لي:
(وكيف أدبر شؤون عائلتي)

وقد جاء في الحديث عن رسول (ص) أنه قال:
(إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال)
وقال في موضع آخر : (ملعون ملعون من ضيع من يعول)

➢ إنصافه في أخذ الأجرة

كان الشيخ منصفاً جداً في أخذ الأجرة على عمل الخياطة، إذ كان يتقاضى أجرته على قدر العمل الذي يبذله ولم يكن يستسيغ أخذ مبلغ من الزبائن أكثر من جهده ولهذا السبب كان يرفض أخذ أي مبلغ إضافي فيما إذا عرض عليه الزبون دفع أجرة أكثر.
كان سماحته يأخذ أجر عمله طبق ضوابط وقوانين المعاملة في الإسلام.
وبما أنه كان يرفض استلام أي مبلغ أكثر من أجرة عمله من المشتري كان يعيد المبلغ الإضافي إلى الزبون فيما إذا لاحظ أنه بذل جهداً أقل مما اتفق عليه مع المشتري.
قال لنا أحد علماء الدين: أخذت قماش عباءة وقباء ولبادة وأعطيته لسماحة الشيخ ليخيطه وسألته عن مبلغ الأجر فقال: هذا يستغرق يومين من العمل وأجرته أربعون تومانا وعندما ذهبت لاستلام الثياب قال لي: الأجر عشرون تومانا فقلت له: ألم تقل لي أربعون توماناً؟ قال: بلى لأني أن خياطتها تستغرق يومين من العمل لكنها استغرقت يوماً واحداً.
وقال شخص آخر أعطيته قماشا ليخط لي منه سروالاً وسألته عن الأجرة فقال عشرة تومانات فدفعت له أجرته في الحال وعندما ذهبت لاستلامه وضع عليه تومانين وقال صارت الأجرة ثمانية تومانات.
وقال لنا نجل الشيخ: اتفق أبي ذات يوم مع أحد الزبائن على خياطة عباءته

بمبلغ خمسه وثلاثين ريالاً فجاء الزبون واخذ العباءة وذهب وبعدما ابتعد قليلاً رأيت والدي قد ركض وراءه واستوقفه وأعطاه خمسه ريالات وقال: ظننت أن هذه العباءة تأخذ منى وقتاً أكثر ولكنها استغرقت وقتاً أقل مما توقعت.

⅄ جزاء الإنصاف

الإنصاف في كل شئ وخاصة في التعامل مع الزبائن من جملة الأمور المهمة التي أكدها الإسلام كثيراً ورد في حديث عن الإمام علي (ع) انه قال (الإنصاف أفضل الفضائل) .... (إن أعظم المثوبة مثوبة الإنصاف) ولكي نعرف مدى تأثير الإنصاف في التعامل في بناء الذات الإنسانية وأن العناية التي لقيها سماحة الشيخ من قبل الله تعالى لم تأته من غير استحقاق فلا بأس بالتأمل في الحكاية التالية:

⅄ إنصاف الناس والتشرف بلقاء صاحب الزمان (ع)

كان أحد العلماء يتمنى رؤية الإمام المنتظر (ع) وكان يتألم كثيراً لعدم تحقق هذه الأمنية فدأب مدة طويلة على ممارسة الرياضة الروحية وكان من المعروف بين طلاب العلوم الدينية وفضلاء الروضة العلوية في النجف الأشرف أن كل من يزور مسجد السهلة أربعين ليلة أربعاء متواصلة بلا انقطاع ويصلي المغرب والعشاء هناك يحظى برؤية الإمام المنتظر (ع) فاستمر هذا العالم بهذه الأعمال مدة مديدة لكنه لم ينل غايته ثم إنه التجأ إلى العلوم الغريبة وأسرار الحروف والإعداد وانكب على ترويض نفسه إلا أنه لم يحصل على أية نتيجة ولكن بما أنه كان يسهر الليالي ويتهجد في الأسحار فقد صقلت نفسه وصفا ضميره وأصبح يتمتع بشئ من النورانية وكان ينقدح أمام بصره في بعض المواقف بريق يضئ له طريقه فكانت تأتيه جذبة يرى على أثرها حقائق ويسمع أصواتاً متناهية في البعد.وفي إحدى هذه الحالات قبل له: لن يتسنى لك رؤية إمام الزمان (ع) بالسفر إلى تلك المدينة كان محفوفا بالمصاعب ولكن خونتها الرغبة في بلوغ المقصود

⅄ الإمام صاحب الزمان (ع) في سوق الحدادين

ينقل هذا الشخص قائلاً: وصلت بعد عدة أيام إلى تلك المدينة واستغرقت في الرياضة مدة أربعين يوماً وفي اليوم السابع والثلاثين أو الثامن والثلاثين قيل لي: إن صاحب الزمان عليه السلام جالس الآن في دكان شيخ يبيع الأقفال في

سوق الحدادين فقم واذهب لرؤيته الآن، نهضت مسرعا نحو دكان الحداد فرأيته بالشكل الذي رأيته في عالم الخلسة ووقفت على بابه فإذا الإمام صاحب الزمان عليه السلام جالسا هناك يتحدث مع الشيخ بانشراح وود.
فلما سلمت عليه أجابني وأشار إلي بلزوم الصمت والنظر فقط إذ إنهم في حالة سير معنوي

⅄ إنصاف الشيخ بائع الأقفال

وفي تلك الحالة شاهدت عجوزاً ضعيفة منحنية الظهر وهي تتوكأ على عصا بيد مرتعشة واقتربت من الحداد وأرته قفلاً وقالت: هل لك أن تشتري هذا القفل مني بمبلغ ثلاثة شاهيات فأنا بحاجة إلى هذا المبلغ.
نظر الشيخ إلى القفل فرآه قفلاً سالما لا عيب فيه.
فقال لها يا أختي هذا القفل قيمته ثمانية شاهيات لأنه لا يحتاج إلا إلى مفتاح وقيمة مفتاحه أقل من ربع شاهي ولو أنك دفعت لي ربع شاهي فسأصنع له مفتاحاً ويكون ثمنه حينئذ عشرة شاهيات فقالت له العجوز لا داعي لذلك فأنا بحاجة إلى مبلغ ثلاثة شاهيات ولو أنك اشتريته مني بهذا المبلغ فسأكون لك شاكرة وأدعو لك بالتوفيق.
فقال لها الحداد: يا أختي انتِ مسلمة وأنا مسلم فلماذا أشتري بضاعة المسلم بضاعة المسلم بثمن بخس وأغبنه حقه؟ فهذا القفل قيمته ثمانية شاهيات ولو أنني أردت الحصول على نفع فإني أشتريه منك بمبلغ سبعه شاهيات ويكون نفعي شاهيا واحدا وهو نفع معقول بالنسبة لي ظنت العجوز أن هذا الرجل لا يصدقها القول لأنها عرضت هذا القفل على حدادين قبله فلم يدفعوا لها أكثر من ربع شاهي لكنها لم تبعه لأنها كانت بحاجة إلى مبلغ ثلاثة شاهيات فدفع لها هذا الشيخ الحداد مبلغ سبعة شاهيات واشترى القفل منها.

⅄ الإمام عليه السلام يتفقد الحداد

وبعدما ذهبت العجوز قال لي مولاي صاحب الزمان عليه السلام أيها السيد العزيز هل رأيت هذه الحالة من السلوك المعنوي؟ إذا كنت على هذه الشاكلة فأنني سوف أزورك بنفسي ولا داعي لترويض النفس كن مثل هذا ولمدة أربعين يوما لا أكثر وما جدوى اللجوء إلى الجفر أو السفر إلى هنا وهناك وإنما يكفي أن تثبت تدينك وإخلاصك بالعمل لكي أكون في عونك.
وقد وقع اختياري على هذا الشيخ من بين أهالي هذه المدينة لآنه رجل متدين وعارف بربه وقد رأيت الاختبار الذي مر به فالحدادون حينما شاهدوا هذه

العجوز في وضع اضطراري لم يشتروا منها القفل حتى بثلاثة شاهيات أما هذا الرجل فقد دفع لها سبعة شاهيات فلا يمر أسبوع وأنا آتيه واتفقده.

الفصل الثالث

⅄ الإيثار

من أبرز الخصال التي تتميز بها حياة الشيخ رجب علي الخياط هي الإيثار وإعانة المساكين في الوقت الذي كان يعاني فيه هو شخصيا من ضنك المعيشة والأحاديث الشريفة تصف الإيثار والتواضع بأنهما من أفضل الأعمال وأعلى مراتب الإيمان ومكارم الأخلاق.

ومع أن الشيخ كان يحصل على أجور كسب قليلة من عمله في الخياطة إلا أنه كان يتمتع بنصب وافر من فضيلة الإيثار في نفس الوقت الذي كان يكابد فيه العوز والفاقة والحقيقة أن حكايات هذا الرجل الإلهي في الإيثار والتضحية مثيرة للدهشة وتنطوي على مضامين تربوية سامية.

⅄ إيثار للناس على نفسه

يقول أحد أبناء الشيخ حكت لنا والدتي أنه مر بنا زمان قحط وقد رأيت (حسن وعلي، هما أكبر أولاد الشيخ) أشعلا ناراً فوق سطح الدار فذهبت لأرى ماذا يفعلان فرأيتهما يشويان جلد سقاء ليأكلا منه فبكيت لحالهما ونزلت من سطح الدار وأخذت كميه من النحاس والبرونز وبعته في السوق واشتريت مقداراً من الطعام وجاء أخي قاسم خان – وكان شخصيا ثريا- ورآني على تلك الحالة من الاستياء والحزن فسألني عما بي فقصصت عليه القصة فقال لي كيف يكون ذلك وأنا شاهدته في السوق يوزع على الناس بطاقات (جلوكباب) فكيف يعطي الطعام للناس ويحرم عياله منه؟ إلى متى هذا الرجل أن ... صحيح أنه عابد وزاهد إلا أن عمله هذا ليس صحيحا!

وعلى أثر سماعي لهذا الكلام ازددت غيظاً على غيظي وبعدما وصل الشيخ إلى الدار ليلاً توجهت إليه باللوم ونمت وأنا على تلك الحال من الاستياء وعند منتصف الليل انتبهت على صوت يدعوني إلى اليقظة فاستيقظت ورأيت الإمام المؤمنين (ع) وبعد أن عرفني نفسه قال: لقد حفظ زوجك أولاد الناس ونحن حفظنا لك أولادك ومتى ما مات أولادك جوعاً جاز لك عند ذلك أن تلوميه!

⅄ إيثار للجار المفلس

نقل لنا أحد أبناء الشيخ يقول: أيقظني أبي ذات ليلة من النوم وحملنا كيسين من الرز حملت أنا واحد وحمل هو الآخر وأخذناهما إلى دار أغنى رجل في حارتنا وأعطاه إياهما قائلاً : يا أخي لابد وإنك تتذكر أن الإنجليز دعوا الناس إلى سفارتهم ووزعوا عليهم الرز ولكنهم أخذوا في مقابل كل حبة حفنة ولا زالوا جاثمين على صدور الناس.

وبهذا المزاح أعطيناه الرز ورجعنا إلى الدار وفي صاح اليوم التالي ناداني أبي وقال:

(يا محمود اذهب واشتر لنا مقداراً من الرز مع زيت الألية بقيمة ريالين وأعطه لوالدتك لكي تطبخ لنا دم بختك للغذاء)

كانت أعمال أبي غير واضحة بالنسبة لي في حينها ولماذا حمل كل ما لدينا من الرز إلى أغنى رجل في الحارة في حين كنا نشتري أرخص أنواع الرز المجروش لغداء ذلك اليوم؟

وعملت بعد حين أن ذلك الرجل قد أصابته انتكاسة مالية وأفلس وكان قد دعا جماعة من أصدقائه لوليمة يقيمها يوم الجمعة وبعدما أعطيناه الرز أقام في يوم الجمعة وليمة فاخرة لهم.

⅄ إيثاره في ليلة العيد

حكى لنا المرحوم الشيخ عبدالكريم حامد قائلاً كنت أعمل كتلميذ لتعلم الخياطة على يد الشيخ وكان ثمن أجرتي توماناً واحداً يومياً وفي ليلة عيد النوروز كان لدى الشيخ مبلغ قدره خمسة عشر توماناً فأعطاني قسماً منه لشراء الرز وإرساله إلى بعض الدور وفقا للعناوين التي أعطاني إياها وفي نهاية الأمر بقي من المبلغ خمسة تومانا أعطاها لي.

فقلت في نفسي: كيف يذهب الشيخ إلى داره وليس معه شئ في ليلة لعيد مع العلم أن ثوب ابنه كان رثا ممزقا ولهذا السبب وضعت النقود في درج المنضدة وهربت وأخذ الشيخ يناديني لكنني لم أرجع وبعد أن وصلت إلى البيت لاحظت أنه لازال يناديني وفي اليوم الثاني قال لي بتذمر : (لماذا لم تأخذ النقود)؟ وأعطانيها بكل اصرار.

الفصل الرابع

⅄ عبادته

كانت الطريقة التي يتبعها الشيخ في سلوكه تختلف اختلافا جذرياً عن مسلك مدعي الطريقة فهو لم يكمن يتعرف بأية فرقة من فرق التصوف وكانت طريقته تقوم على التعبد التام بتعاليم أهل البيت عليهم السلام .

وهكذا فإنه كان يهتم اهتماماً كبيراً بالمستحبات فضلاً عن الواجبات.

كان يستيقظ عادة في الأسحار وبعد بزوغ الشمس يأخذ قسطاً من الراحة لمدة ساعة أو نصف ساعة وكان في بعض الأحيان يأخذ قسطاً من الراحة بعد الظهر.

ومع أن الشيخ كان صاحب كشف وشهود غير أنه كان يقول (لا توقنوا بالمكاشفات ولا تعتمدوا عليها إطلاقاً وإنما يجب أن تتخذوا من أقوال الأئمة وأفعالهم قدوة لكم على الدوام).

كان في المجالس العامة يؤكد أهمية التعبد والعمل بالأحكام الإلية مستدلاً بالآية الكريمة (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقداكم). ويقول (إن الله غني عن العباد واذكروا الله واعملوا بأحكامه وتمسكوا بسنة رسوله)

ويقول أيضاً (العمل بالأحكام الإلهية يؤدي إلى سمو البشرية ورقيها).

وكان يكرر هذا القول مرات عديدة: (الدين الحق هو هذا الدين الذي يقال فوق المنابر ولكن ينقصه شيئان: الإخلاص وحب الله وهذان الشيئان لابد من إضافتهما إلى الخطب والكلمات).

ويقول: (المقدسون كل أعمالهم حسنة ولكن يجب عليهم تبديل حب النفس بحب الله).

ويقول: (لو ترك المؤمنون أنانيتهم جانباً لبلغوا أسمى الغايات).

ويقول أيضاً (من سلم أمره لله حق التسليم وتخلى عن رأيه ومزاجه تكفل الباري تعالى بأمر تربيته).

⅄ تقليده

كان الشيخ بحكم مسلكه التعبدي ملقداً في الأحكام حيث كان يقلد آية الله حجت(رضي الله عنه) – أحد مراجع التقليد في عصره- وقال في سبب تقليده لهذا المرجع دون سواه:

(ذهبت إلى قم وشاهدت مراجع التقليد ووجدت أن أبعدهم عن الهوى هو السيد حجت)

وجاء عنه في قول آخر: (وجدت قلبه خالياً من الحب والرئاسة).

كان الشيخ يحذر أصدقائه من الفرق التي انحرفت عن هذا الطريق يقول أحد أصدقائه أنه سأل الشيخ عن إحدى تلك الفرق فقال :

(كنت في كربلاء فرأيت أعضاء فرقة يسيرون والشيطان ممسك بزمام الشخص الذي يتقدمهم فسألت من هؤلاء؟ فقيل لي: إنهم ...)

كان سماحة الشيخ يعتقد أن الذين يبتعدون عن طريقة أهل البيت عليهم السلام في السلوك – حتى وإن بلغوا مقامات عالية على الصعيد الروحي بسبب ممارستهم للرياضة الروحية – تغلق أبواب معرفة الحقيقة في وجوههم.

نقل لنا أحد أبناء الشيخ: ذهبت ذات مره برفقة أبي إلى جبل (بي بي شهر بانو) وفي الطريق التقينا شخصاً من أهل الرياضة الروحية وكان يدعي بعض الادعاءات فسأله أبي: (ما هي حصيلة رياضتك) انحنى ذلك الرجل والتقط حجراً من الأرض وحوله إلى كمثرى وقال لأبي تفضل كُل!

فقال أبي : (حسناً لقد فعلت هذا العمل لي ولكن قل لي ماذا عملت لله؟ وماذا قدمت له)؟

وعندما سمع المرتاض هذه الكلمات من أبي بكى!

⮘ أهمية العمل لله

نقل لنا أحد أصدقائه الشيخ أنه قال :

(كنت أقضي في الليالي في مسجد (الجمعة) بطهران أصحح قراءة المؤمنين لسورتي الحمد والإخلاص وفي إحدى الليالي تشاجر طفلان وجاء المغلوب منهما وجلس إلى جانبي كي يحتمي بي من خصمه فانتهزت الفرصة وسألته هل تجيد قراءة سورتي الحمد والإخلاص واستغرق هذا العمل كل وقتي في تلك الليلة.

وفي الليلة التالية جاءني درويش وقال لي: إنني أتقن علم الكيمياء والسيميا والهيميا والليميا وأنا على استعداد أن أهبها لك ولكن بشرط أن تهبني ثواب عملك في الليلة الماضية!

فقلت له: (لا لو كانت هذه العلوم ذات فائدة لما وهبتها لي)

⮘ مخالفته للرياضات غير الشرعية

كان سماحة الشيخ يعتقد أن المرء إذا عمل بإحكام الإسلام حقاً يمكنه الوصول

إلى جميع الكمالات والمقامات المعنوية وكان يعارض إلى أبعد الحدود كل رياضة لا تتماشى مع السنة ومع طريقة المذهب.
وقد نقل أحد محبية: دأبت مدة من الزمن على ممارسة الرياضة الروحية وأفردت لنفسي غرفة للذكر والتهجد والنوم أيضاً معتزلاً زوجتي العلوية وبعد أربعة أو خمسة أشهر جاءني أحد الأصدقاء ودعاني لرؤية سماحة الشيخ وذهبنا إلى داره وبعد أن طرقنا الباب خرج الشيخ وبمجرد أن رآني قال:
(أتريد أن أتكلم)؟!
فأطرقت رأسي إلى الأرض وإذا بالشيخ يقول:
(ما هذا التصرف الذي تتبعه مع زوجتك وتهجرها بهذه الصورة؟ دع عنك الرياضة والأذكار، اذهب واشتر علبة حلوى وخذها إلى عائلتك وأد صلاتك في وقتها مع التعقيبات المتعارفه) ثم أشار الشيخ إلى الأحاديث التي تؤكد أن من يعمل أربعين يوماً بإخلاص تنفجر ينابيع الحكمة من قلبه قائلاً (استناداُ إلى هذه الأحاديث إذا عمل المرء بواجباته الدينية أربعين يوماً يحصل له قطعاً نور خاص).
وبناء على توصية الشيخ ترك ذلك الرجل الروحية وعاد إلى حياته الطبيعية.

⅄ اهتمامه بأداء الخمس

وصف لنا الدكتور حميد فرزام – أحد تلاميذ الشيخ – تعبد الشيخ قائلا:
لقد جمع الشيخ بين الشريعة والطريقة والحقيقة ولم ينهج منهج المتصوفة في الإعراض عن الشريعة وكان أول كلام له معي هو:
(اذهب وأدِ ما عليك من الخمس) وأرسلني إلى المرحوم آية الله أحمد الآشتياني في (كذر قلي) قائلاً: لابد أن تذهب إليه فذهبت وقد وجدته رجلا ورعاُ وآية من آيات الحق وكسبت الكثير من فيوضاته ورأيت منه ما رأيت!... ودفعت إليه حق الخمس المترتب علي.

الفصل الخامس

⅄ أخلاقه

كان الشيخ في غاية الرأفة وطلاقة المحيا وحسن الخلاق والوقار والأدب.
وكان إذا جلس في مجلس ثنى ركبتيه ولا يتكى على متكأ وإنما يجلس بعيداً عن المتكأ إلى حد ما ولم يكن يصافح أحد ويسحب يده قبله كان على درجة عالية

من السكينة وكان بشوشاً في أثناء الكلام ونادراً ما يغضب ولكن إذا اعتراه في مثل هذه الحالة يخرج من الدار ولا يقر له قرار حتى يتغلب على نفسه وغضبه ثم يرجع إلى داره
المسألة المهمة التي كانت موضع اهتمام الشيخ في حسن الأخلاق وكان كثيراً ما يوصي الآخرين بها هي أن المرء يجب أن يتصف بحسن الأخلاق وبحسن السلوك مع الناس وقال في هذا الصدد:
(إن التواضع وحسن الأخلاق يجب أن يكون لله وليس رياء ولا لغرض كسب الناس)
كان الشيخ قليل الكلام وكان يستدل من حركاته وسكناته على أنه في حالة ذكر وتفكر وتوجه إلى الله كان أول وآخر كلامه في الله ولله وكانت نظراته تعرف بالمرء بالله وكل من ينظر إليه يتذكر ربه وحينما كانوا يسألونه في بعض الأحيان: أين كنت؟ كان يقول (عند مليك مقتدر)!

كان كثير البكاء في مجالس الدعاء ويبكي كلما قرئت قصائد من أشعار (حافظ) أو (طاقديس) وكان قادراً في أثناء البكاء على التبسم أو الضحك أو التحدث بما يبعد الضجر عن الآخرين وكان شديد الحب لأمير المؤمنين (ع) إذ كان يحوم حول نوره كما تحوم الفراشة حول ضوء الشمعة وكان حينما يجلس يكرر بين فتره وأخرى ذكر (يا علي أدركني)

تواضعه

يقول الدكتور فرزام في هذا المجال: كان الشيخ شديد التواضع في سلوكه مع الآخرين وكان إذا طرقت باب الدار يبادر هو إلى فتحها ويأذن للقادمين بالدخول وحينما كنا نزوره كان يستقبلنا في غرفة عمله التي كان فيها بساطة الخياطة.
زرته في إحدى المرات في فصل الشتاء فجاء برمانتين وقدم لي واحدة وقال بلا تكلف ولا تكبر (كُل يا عزيزي حميد) لم تكن هناك أية نزعة استكبارية في نفسه ويبدو وكأنه لا يفرق بين ذاته وغيره إذا قدم لأحد نصيحة فإنما كان يقدمها له من باب الإرشاد والهداية وأداء الواجب كان على الدوام يجلس عند الباب ويرحب بالقادمين.
نقل لي أحد تلاميذه : عندما كان يأتي برفقة أصحابه لم يكن يتقدمهم في الدخول.
وينقل آخر: ذهبنا برفقة الشيخ إلى مشهد وتوجهنا نحو ضريح الإمام الرضا

(ع) فلقينا الشاعر حيد على المعروف (معجزة) – وهو نجل المرحوم ميرزا أحمد مرشد جلوئي – فرمى بنفسه كالمجنون عند قدمي الشيخ! وأراد أن يضع قدم الشيخ على عينه فقال له:
(يا عديم الغيرة! لا تعصِ ربك بهذا العمل واخجل من هذا التصرف فمن أكون أنا حتى تفعل معي هذا الفعل)

⮝ إصلاحه ذات البين

من جمله الأمور الأخلاقية الأخرى التي كان الشيخ يهتم بها هي إصلاح ذات البين ومصالحة المتخاصمين فقد كان يدعو الأشخاص الذين يقع بينهم خصام أو خلاف ويصالحهم استناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريف من دعوة لإشاعة الإخاء والمودة بين الناس.

⮝ احترامه الخاص لذرية رسول (ص)

كان سماحته شديد الاحترام للسادات من ذرية علي وفاطمة عليهم السلام وقد شوهد مرات عديدة وهو يقبل أيديهم وأرجلهم ويوصي الآخرين أيضاً باحترامهم.
كان هناك سيد جليل يأتي للقاء الشيخ بين الفنية والأخرى وكان متعوداً على تدخين النارجيلة ومع أن سماحة الشيخ لم يكن من المدخنين ولكن حينما يعدون النارجيلة لذلك السيد كان الشيخ يقرب قصبتها إلى فمه متظاهراً وكأنه يدخن النارجيلة لكي يدفع الحرج عن ذلك السيد ثم يقدمها له ينقل أحد أصدقاء الشيخ : كنت ذات يوم جالساً عند الشيخ في فصل الشتاء فقال لي: (هيا بنا نذهب إلى إحدى حارات طهران القديمة) ذهبنا سوية إلى أن وصلنا إلى أحد الأزقة القديمة وكان في ذلك الزقاق دكان قديم لبيع الفحم يتخذه رجل مسن من السادات الأجلاء – وكان أعزب- كمحل للعمل والسكن.
علمنا أن حريقا شب الليلة الماضية في هذا الدكان واحترقت بسببه ثيابه ذلك الرجل وأدواته وأصبحت حياته صعبه لكن الشيخ ذهب إليه بكل تواضع وعطف وحياه ثم جمع ثيابه الوسخة وأخذها لغسلها وترميمها فقال الرجل الشيخ: يا سيدي لقد ذهبت كل أموالي ولم أعد قادراً على العمل بدون رأس مال.
فقال لي الشيخ (أعطه مبلغاً من المال ليساعده على العمل).

⅄ احترامه لجميع الناس

كان الشيخ يحترم السادات بل ويحترم جميع الناس فإذا ما أخطأ أحد أمامه لم يكن يؤنبه أمام الآخرين ولا يعتبره بسوء فعله وإنما كان يتظاهر معه بالممازحة والملاطفة.

⅄ عدم اعتنائه بأصحاب المناصب

تعرفت بالشيخ في أواخر حياته شخصيات كثيرة من أبناء الطبقة البارزة في البلاد وتكونت لبعض الشخصيات الحوزوية والجامعية علاقات معه ليس هذا فحسب بل كانت تفد عليه شخصيات سياسية وعسكرية كبيرة لأغراض شتى وعلى العكس من تواضع الشيخ للمساكين والمستضعفين وخاصة السادات منهم كان لا يهتم بأصحاب المناصب والشخصيات الدنيوية وحينما كانوا يفدون عليه كان يقول:

(لقد جاؤوا وراء العجوز يطلبونها مني ولا أراهم إلا في وضع معسر أو اضطربت أمورهم أو لديهم مريض وجاؤوني لكي أدعو لهم) حكى لنا أحد أبناء الشيخ يقول: قال لي أحد ضباط الجيش – وكان من محبي سماحة الشيخ- هل تدري لماذا أحب والداك؟ أحبه لأنني عندما جئته للمرة الأولى وجدته جالساً عند الباب فسلمت عليه فقال لي: أجلس هناك وفي الأثناء جاء رجل أعمى فقام له واحتضنه بكل واحترام وقبله وأجلسه إلى جانبه.

وبقيت أرتقب ما يجري في الدار إلى أن نهض ذلك الأعمى وأراد الذهاب فبادر الشيخ إلى وضع حذائه أمام قدميه وأعطاه عشر تومانات وذهب الرجل ولكنني حينما أردت الذهاب لم ينهض وقال وهو جالس في مكانه وقال وهو جالس في مكانه: (في أمان الله).

⅄ أخلاقه في السفر

سافر الشيخ طوال عمره المبارك إلى مشهد وكاشان واصفهان ومازندان وكرمانشاه وسفره الوحيد إلى خارج البلاد هو سفره إلى العراق فقط لزيارة العتبات المقدسة وقد ترك في تلك الرحلات – التي كانت تجري عادة برفقة الأصدقاء- ذكريات ومواقف ذات انعكاسات منها بأخلاق السفر فحسب.

وصفه مرافقوه في أسفاره بأنه كان حسن الأخلاق في السفر ويتصف بالنقاء وطيب المعشر فلم يكن يفرق بين ذاته وبين تلاميذ ومحببة فإذا كانت هناك حقائب يجب أتحمل مكان يشارك في حملها أيضاً ويعطي ما عليه من نفقات السفر.

الفصل السادس

◄ انتظار الفرج

من جملة الخصائص البارزة في شخصية سماحة الشيخ حبه وولاؤه الخاص لإمام زمانناـ أرواحنا فداهـ وانتظار فرجه وظهوره وكان يقول في هذا المعنى: (يدعي معظم الناس أنهم يحبون إمام الزمان (صلوات الله عليه) أكثر من حبهم لأنفسهم والحقيقة هي أنهم ليسوا كذلك لأننا لو كنا نحبه أكثر من حبنا لأنفسنا لعملنا له لا لأنفسنا علينا أن ندعو الله جمعياً أن يزيل موانع ظهوره ويوحد قلوبنا مع قلبه المبارك).

◄ مطلبه المهم

ينقل أحد أصدقاء الشيخ: لم أشعر طوال صحبتي للشيخ بأنه كان لديه مطلب مهم سوى تعجيل فرج صاحب الزمان (ع) وكان كثيراً ما يحث الأصدقاء بأن لا يطلبوا من الله شيئاً سوى التعجيل بأمر إمام الزمان وكانت حالة الانتظار لديه على درجة من القوة بحيث إنه إذا سمع شخصاً يتحدث عن فرج ولي العصر(ع) نراه يتغير حاله ويجهش بالبكاء.

◄ النملة تسعى للوصول إلى الحبيب

المسألة المهمة التي كان الشيخ يؤكدها هي استعداد وأهلية الشخص المنتظر وإن كان عمره غير كاف لإدراك زمن ظهور الإمام المنتظر وكان ينقل في هذا المجال قصة عن النبي داود (ع) وهي :

(إن داود (ع) مر ذات يوم
بالصحراء فرأى نملة تحمل التراب
من مكان وتنقله إلى مكان آخر
فدعا داود ربه أن يطلعه على سر
عمل النملة فتكلمت النملة وقالت له:
ليـ حبيب شرطــ عليـ إذا أردتـ
لقائي فعليك معي أن تنقليجميع تراب هذا التل إلى ذلك الموضع.

فقال لها: هل تستطيعين بجسمك الصغير هذا نقل تراب هذا التل الكبير إلى ذاك الموضع؟ وهل يكفي عمرك لإنجاز هذا العمل؟ قالت له: أنا علم كل ذلك ولكن ما أحلى أن أموت وأنا في عملي هذا ليكون موتي في سبيل المحبوب. وهنا تنبه

النبي داود(ع) إلى أن في القصة درساً له).
كان سماحته الشيخ يؤكد ويقول: (كن في انتظار ولي العصر(ع) بكل وجودك واقرن حالة الانتظار بمشيئة الله).

⮝ بلغوا سلامي لإمام الزمان (ع)

ينقل أحد تلاميذ كان الشيخ مواظباً على ذكر الإمام صاحب الزمان (ع) ولم يكن يقل: (اللهم على محمد وآل محمد) إلا ويقرنها بكلمة (وعجل فرجهم) ولم تكن مجالسه تخلو من ذكر صاحب الزمان (ع) والدعاء بتعجيل فرجه وبعد أن شعر في أواخر عمره الشريف بأنه سيفارق الدنيا قبل ظهور إمامه (ع) كان يقول لأصدقائه (إذا وفقتم لإدراك ظهوره (ع) فبلغوه سلامي).

⮝ شاب في عالم البرزخ

قال سماحة الشيخ أثناء دفن شاب من المنتظرين لظهور إمام الزمان (ع).
(رأيت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قد نشر ذراعيه على ذلك الشاب فسألت ما آخر كلام تلفظ به هذا الشاب؟ فقالوا كان آخر كلامه بيت شعر معناه: لقد أوشكت قلوب المنتظرين على اليأس فيا خير الصالحين أغثهم).

⮝ رجعة جماعة من المنتظرين

كان سماحة الشيخ يعتقد أن المنتظرين الحقيقيين لإمام الزمان (ع) إذا ماتوا قبل ظهوره سيعودن إلى الحياة عند ظهوره ويكونون من أنصاره ومن جملة من كان يذكر أسماءهم في عداد من يرجع إلى الدنيا بعد ظهور إمام الزمان(ع): علي بن جعفر (ع) المدفون في مقبرة "در بهشت" في قم والميرزا القمي المدفون في مقبرة "شيخان" في قم.

⮝ إسكافي في مدينة ري

يروي أحد تلاميذ الشيخ : كنت ذات يوم عند الشيخ وكان الحديث يدور حول ظهور إمام الزمان (ع) وخصائص الانتظار فقال سماحته:
(كان في مدينة ري إسكافي اسمه على ما أتذكر هو "إمام علي" وكان يتكلم اللغة التركية ولم يكن زوجة ولا أطفال وكان يسكن على الظاهر في محل عمله ونقلت عنه حالات عجيبة إذ لم يكن في نفسه مطمح أو رغبة سوى ظهور الإمام صاحب الزمان (ع) وأوصى أن يدفن بعد موته عند جبل (بي بي شهر

بانو) قرب مدينة ري ومتى ما توجهت إلى قبره رأيت إمام الزمان عليه السلام هناك).

الفصل السابع

- **الشعر**

كان الشيخ يميل إلى الأشعار العرفانية والأخلاقية إلى أبعد الحدود وكانت مواعظه في معظم الأوقات تتخللها أشعار تربوية وكان يعير اهتماً فائقاً لأشعار (حافظ) وثنائيات (طاقديس) وكان يبكي عند سماع شئ من تلك الشعار.

كانت لع علاقة كبيرة بكتاب ثنائيات طاقديس وكان يقول (لو كان في المدينة كتاب "طاقديس" للملا أحمد النراقي لاشتريته بكل ما أملك).

ذكر الدكتور " أبو الحسن الشيخ " الذي كان على معرفة وثيقة بالشيخ منذ سنوات طويلة: كان الشيخ على معرفة عميقة بحافظ ويجيد تفسير أشعاره.

وقال الدكتور حمدي فرزام حول رأي الشيخ في الشعر والشعراء وخاصة حافظ:

تعرفت بالشيخ بواسطة الدكتور كويا منذ عام 1373هـ . ق (1333هـ . ش) وما كنا نجلس معه مجلساً إلا وأسمع منه أشعاراً جميلة وذات مغزى عميق وكان الشيخ مغرماً بحافظ أيما غرام وقد سألته ذات مرة عن سبب غرامه بحافظ فقال:

(إن لحافظ باعاً طويلاً في الجانب المعنوي وأجد في شعره بيان الحقائق المعنوية وبعد الذوق العرفاني)

كان الشيخ يميل إلى حافظ أكثر من ميله لبقية الشعراء ويكثر من ذكره أشعاره وإذا كان يريد تنبيه أو تحذير أحد فإنه كان يستشهد بشعر حافظ.

كان الشيخ يشبه الدنيا بالعجوز وكان في بعض المواقف يلتفت في مجلسه إلى أحد محببة ويقول له:

(أراك قد ابتليت بهذه العجوز مرة أخرى)

ثم يقرأ بعد ذلك بيت شعر لحافظ يقول فيه ما معناه:

ليس هناك من أحد إلا يقع في حب ضفيرتيها.
ما من أحد إلا ويجد في طريقه مصائد فتنتها.

(غالباً ما يقع الناس كفرائس في مصيدة هذه العجوز وقلما تجد أحد يفلت من

مصائدها).
وكان يفصح عن هذه الأقوال بأسلوب الضحك والمزاح وفي مجال النهي عن العجب كان يقرأ البيت التالي:

العجب والاستبداد بالرأي في منهج الدراويش كفر
وإنما الحكم حكمك والأمر ما تراه

قراءته للأشعار بصوت جميل

يقول الدكتور فرزام في هذا المجال: كان سماحة الشيخ يلقي الأشعار بلحن وصوت جميل فكان أحيانا يقرأ من أشعار المرحوم الفيض الكاشاني مثل قوله:

أستغفر الله من كل شئ سواه وأستغفر الله من كل وجود مستعار

وإذا مرت علي لحظة من دون ذكره
أستغفر بما لا يحصى من تلك اللحظة

وكان من خلال قراءته لهذه الأشعار يحدث تغيراً عميقاً كبيراً في قلوب أصحابه كنا في عصر أحد الأيام برفقة الشيخ في دار أحد محبية وكانت في الدار صالة واسعة فجلس هو قرب الباب وأنشد قصيدة معروفة لحافظ تبدأ بالبيت التالي:

من ذا الذي يفي لنا تكرما
ويحسن لحظة واحدة إلى مسئ مثلي

قرأ عدة أبيات من هذا الغزل بصوت عذب فبكى وأبكى الحاضرين فقلت للدكتور كويا: ما أجمل صوت الشيخ وما أقوى تأثيره!
فقال لي : من المؤسف أنك تعرفت به متأخراً فقلد كان منذ زمن ذا صوت جميل وكان إذا قرأ الأبيات العرفانية كأن الجدران والأبواب تهتز طرباً له!

رأيه في مولوي

كان سماحة الشيخ يعتبر الشاعر حافظ الشيرازي من أولياء الله ويتحدث عن مكانته الرفيعة في البرزخ أما بالنسبة لمولوي فقد كان له فيه رأي آخر حيث كان يقول عنه: (إنه يعاني في البرزخ) وينقل عنه احد تلاميذه أنه قال:

(أردت أن أقر كتاب "المثنوي" فرأيت في عالم المعنى شخصاً أمامي وآخر ورائي ويقول أحدهما للآخر: لا تدعه ينام ففكرت في نفسي وقلت: لماذا لا يقولان: لا تدعه ينام عند قراءتي للقرآن؟ لهذا وضعت الكتاب جانباً)

⮘ آية الله البروجردي والمولوي

حصلت لسماحة آية الله حسين الطباطبائي البروجردي رحمه الله مكاشفة شبيهة بهذه.

فعند زيارة آية الله لطف الله الصافي الكلبايكاني – أحد مراجع التقليد المعاصرين – لمركز البحوث في مؤسسة دار الحديث الثقافية في قم في الثالث عشر من شهر شوال سنه 1419 هـ. ق (بهمن عام 1377 هـ .ش) سأله كاتب هذه السطور عن حقيقة هذا الموضوع فقال: سمعت آية الله البروجردي يقول: (عندما كنت في بروجرد كانت تعرض لي إلهامات غيبية وفي إحدى المرات كنت أقرأ كتاب "المثنوي" لمولوي فسمعت فجأة صوتا يقول: إن هذا الشخص قد ضل السبيل وما أن سمعت هذا الكلام حتى أغلقت الكتاب ووضعته جانباً ولم أقرأ بعد ذلك وفي حينها كان إلى جانبي كتاب عدة الداعي فتناولته وبدأت أقرأ فيه) سأل مؤلف الكتاب آية الله الصافي يروي البعض أنه قال بعد سماع ذلك الصوت خرجت إلى الشارع لأتأكد هل كان الموضوع إلهاماً غيباً أو صوت شخص جاء من الشارع ونظرت فلم أجد أحد في الشارع) فأجاب آية الله الصافي بالقول: لم يكن لديه شك في أن ما سمعه كان إلهاما غيبياً.

⮘ الملا أحمد النراقي مولوي

تعرض المولوي لنقد آخر من الفقيه والشاعر المعروف المرحوم الملا احمد النراقي حيث أورد في كتابه مثنوي (طاقديس) قصيدة يسائل فيها مولوي ويعاتبه فمن شاء فليراجع:

هذا هو معنى العقل أيها الصديق المعنوي
قل هذا لحضرة المولوي
لو افترضنا أنه ميز بين الحسن والقبيح
فهل يعرف طريق الجنة من طريق النار
ماذا يفعل؟ فنفسه البائسة عاصية
ستلقى نفسها ولو في النار
فهو قد يعرف ما ينبغي ومالا ينبغي بالضبط

لكن قدمه أعرج وضعيف
لقد درس الفقه والحكمة لكن جهلة
لم ينقص وصار عالماً لكنه لم يصبح إنساناً
ما هو العلم؟ معرفة الخير من الشر
وما هو العقل؟ أن يملك المرء زمام نفسه
فإذا لم تملك زمـــــام نفسك
فما فائدة معرفة الخير والشر
ومتى كانت معرفة السكنجبين وحده
كافية لدفع الصفراء أيها الحبيب اللطيف
وإذا كنت تعرف حلاوة السكر
حسناً متى يصير فمـك حلواً

رأينا ضرورة تأجيل الحكم على الشاعر مولوي إلى فرصة أخرى والمؤلف لا يريد في هذا الموضع الإدلاء نظره فيه نفياً أو إثباتاً وإنما كانت الغاية من نقل مكاشفة آية الله البروجردي وأشعار المرحوم النراقي هي تأكيد أن الشيخ لم ينفرد في رأيه هذا في ما يخص مولوي وغنما تشاركه في هذا الاعتقاد شخصيات علمية بارزة.

⮝ شعر للشيخ وذكرى

يبدو أن سماحة الشيخ نفسه كان في بعض الأحيان يقول شعراً وقد سألها المؤلف أحد مراجع التقليد المعاصرين وهو من تلاميذ الفقيه والعارف المرحوم آية الله القاضي أستاذ العلامة الطباطبائي صاحب "تفسير الميزان" عن الشيخ رجب علي الخياط فأجاب بالقول (رأيته في النجف الأشرف في مجلس المرحوم القاضي يلقي قصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام يبدأ مطلع أبياتها بالحروف الأبجدية وقال ضمن كلامه: نظمت شعراً وهو :

كل ما أنعمت به على الكائنات
أنعمت به علي دفعة واحدة.

وكنت اعتقد أن هذا الكلام يمثل قمة البلاغة في وصف تتابع النعم الإلهية إلى أن رأيت في الصحيفة السجادية العبارة التالية (شكري إياك من نعمك).

الفصل الثامن

السياسة
لم يتدخل سماحة الشيخ في عالم السياسة بيد أنه كان يعارض النظام البهلوي المقيت والمتسلط على الشؤون السياسة معارضة شديدة كما أنه كان يعارض مصدق أيضا بينما كان يكثر من الثناء على آية الله الكاشاني ويقول (إن باطنه بمثابة ماء السبيل).

تنبؤاته
قال أحد أبناء الشيخ في يوم 17 شوال 1370هـ.ق (30تير من عام 1330هـ .ش) حينما جاء أبي إلى المنزل أجهش بالبكاء وقال:
(لقد أطفأ سيد الشهيد عليه السلام هذه النار بعباءته وحال دون وقوع هذا البلاء لقد كانوا عازمين على قتل الكثير من الناس وأن آية الله الكاشاني لن ينجح في علمه ولكن سيأتي من بعده سيد آخر ويكون النصر حليفه). وقد اتضح بعد حين أن المقصود من السيد الثاني هو سماحة الإمام السيد الخميني رحمة الله عليه

مستقبل الثورة الإسلامية
ما زلنا قد أوصلنا الحديث لذكر الإمام الخميني (قدس) فلا بأس بالتحدث عن توقعاته إزاء مستقبل الثورة الإسلامية.
نقل علي محمد بشارتي – وزير الداخلية السابق – أنه حينما كان في عام 1400 هـ .ق (1358 هـ .ش) مسؤولاً لجهاز الاستخبارات في حرس الثورة الإسلامية وصلنا تقرير يفيد أن السيد شريعتمداري قال في مدينة مشهد (في نهاية المطاف سأعلن الحرب ضد الإمام) فذهبت لمقابلة الإمام وقدمت له تقريراً وأعلمته الخبر المذكور وحينما كان يستمع لحديثي مطرقاً رأسه وبعد أن أعلمته هذا الخبر رفع رأسه وقال :
(ماذا يقول هؤلاء؟! إن الله هو الذي تكفل بنصرنا وسيكون النجاح حليفنا وسنقيم حكومة إسلامية هنا ونسلم الراية إلى صاحب الزمان عليه السلام)
فسألته : ستسلمها له أنت بنفسك؟
فسكت ولم يجب.

⮝ ناصر الدين شاه في البرزخ

أما ما يتعلق بحالة ناصر الدين شاه القاجاري في عالم البرزخ فقد نقل لنا أحد تلاميذ الشيخ أنه قال:

(أطلقوا روحه في احد أيام الجمعة وفي ليلة السبت أخذوه دفعاً إلى مقره وكان يتوسل إلى الموكلين به قائلاً: لا تأخذوني وحينما رآني قال لي : لو كنت أعلم بهذا المصير لما رغبت في ملذات الدنيا)

⮝ تحذيره من مدح السلطان الجائر

كان سماحة الشيخ يحذر أصدقائه وتلاميذه من التعاون مع النظام البهلوي الحاكم يومذاك ويطلب منهم الامتناع عن مدحهم والثناء عليهم وقد نقل عنه أحد تلاميذ أنه قال:

(رأيت روح أحد العرفاء تحاسب في البرزخ وقد دونوا في سجل أعماله جميع المظالم والمنكرات التي ارتكبها السلطان الجائر الحاكم في زمانه ونسبوها إليه وكان يقول أثناء المحاكمة: إنني لم أقترف كل هذه الجرائم!

فقيل له : ألم تقل في مدحك له: يا له من سلطان أقر الأمن في البلاد؟

قال نعم!

فقيل له: إذا كنت راضيا بفعله وهو إنما أقر الأمن حفاظاً على سلطانه

وقد جاء في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين (ع) قال (الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به وإثم الرضا به).

الباب الثاني : القفزة

الفصل الأول

التربية الإلهية

لا حاجة لبيان ما بلغه الشيخ من كمال المعنوي لمن عرفه عن قرب أو سمع عمن عرفوه.

أما السؤال الأساسي الذي يتبادر إلى الأذهان حول هذه الشخصية المعنوية الكبرى فهو: كيف تسنى لهذا الرجل البلوغ هذه المرتبة الإنسانية السامية؟ وكيف وصل شخص لم يكتسب شيئاً من العلوم المتداولة في الحوزة والجامعة

إلى هذه المنزلة بحيث استفادت من بركات هدايته النخبة المتعلمة من منتسبي الحوزة والجامعة فضلاً عن عوام الناس؟! وبعبارة أخرى ما هو سر القفزة التي أتاحت للشيخ إحراز هذا النجاح الباهر؟ ومن هو الأستاذ الذي تربى هذا الرجل في مدرسته ومن هو معلمه المعنوي؟

معلموه

مع ان سماحة الشيخ لم يكتسب شيئاً من العلوم المتداولة في الحوزة والجامعة إلا أنه أدرك بعض أكابر العلم والمعرفة والمعنويات ممن يمكن اعتبارهم بمثابة الأساتذة بالنسبة له من أمثال المرحوم آية الله محمد علي الشاه آبادي – أستاذ الإمام الخميني (قدس) – والمرحوم آية الله الميرزا محمد تقي البافقي والمرحوم آية الله الميرزا جمال الإصفهاني.

وحضر سماحة الشيخ دروس عالمين كبيرين آخرين هما السيد على المفسر والسيد علي الغروي وهو مفسر وإمام جماعة مسجد في محلة سلسبيل في طهران.

تكون لدى الشيخ إلمام تام بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة من خلال هذه المعلومات واخذ يترجم ويفسر القرآن والأحاديث والدعية في المجالس التي كان يقيمها ويبين لها معاني بديعة قلما يلتفت إليها الآخرون.

ومعنى هذا فإن ما عند سماحة الشيخ من اطلاع في المعارف الإسلامية يعزى إلى أخذه عن هؤلاء العلماء الأكابر وأمثالهم بيد أن التحول المعنوي أو القفزة المعنوية التي حصلت عنده يجب البحث عن أسباب أخرى لها فذلك التحول كان يشير إليه سماحته بقوله: (ما كان لي أستاذ) ينقل أحد محبي الشيخ أنه كان يقول: (ما كان لي أستاذ إلا أنني كنت احضر مجالس الوعظ التي كان يقيمها المرحوم الشيخ محمد تقي البافقي في ضريح السيد عبد العظيم الحسني رحمه الله ليلاً فقد كان رجلاً من أهل الباطن وقد نظر ذات ليلة إلى المجلس وتوجه إلى بالقول (إنك ستبلغ مرتبة رفيعة)

بداية التحول

يتعقد المؤلف أن سر القفزة البارزة والتحول المصيري في حياة الشيخ يعزى إلى حادثة مثيرة وقعت للشيخ وهي حادثة تحتوي على كثير من الدروس والعبر.

فقد وقعت للشيخ في مطلع شبابه حادثة مشابهة لحادثة النبي يوسف (ع) وكانت الحادثة وما استتبعها بمثابة نموذج للتوحيد الفعلي إذ يستدل منها على أن

ما ورد في آخر قصة (ع) من قولة تعالى: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) تعتبر قاعدة عامة ولا تختص بالنبي يوسف (ع) وحده وتبين هذه القصة أيضاً أن ما ورد في ختام القصة النبي يوسف من قوله تعالى (ولما بلغ أشده ءآتينه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) يعتبر أيضا قاعدة عامة وان كل أهل الخير والإحسان سيؤتون نور الحكمة والعلم الإلهي.

قصة شبيهة بقصة يوسف

نادراً ما كان الشيخ يشرح هذه القصة لأحد من الناس ولكنه كان يشير غليها بمناسبة أو أخرى ويقول:

(لم يكن لي أستاذ ولكني قلت: اللهم إني أعرض عن هذا العمل وأتجنبه طاعة لك وأدعوك يا إلهي أن تصطنعني لنفسك)

وقد أشار آية الله السيد محمد هادي الميلاني رحمة الله إلى هذه القصة قائلاً لقد لقي هذا الشيخ عناية ربانية بسبب ارتداعه في أيام شبابه عن فعل القبيح.

وشرح سماحة الشيخ تلك القصة في لقاء له مع السيد الميلاني حيث كان السيد محمد علي الميلاني- نجل آية الله محمد هادي الميلاني – حاضراً في ذلك اللقاء ونقل تلك القصة عن لسان الشيخ على النحو التالي:

(في أيام شبابي أعجبت بي فتاة جميلة من أقاربنا وبسبب هيامها بي ومكرها أياي استطاعت أن تلتقيني في يوم من الأيام بعيداً عن الأنظار فقلت في نفسي يا رجب علي إن الله قادر أن يختبرك في مواقف كثيرة فلو تختبر ربك مرة واحدة وتمتنع عن ارتكاب الحرام المهيأ لك على ما فيه من لذة. ثم دعوت الله وقلت اللهم إني أمتنع عن اقتراف هذا الإثم امتثالاً لأمرك فربني يا رب كما تحب.ثم إنه قاوم تلك المعصية بكل شجاعة مثلما فعل النبي يوسف (ع) وأبى تدنيس بتلك المعصية وفر على وجه السرعة من ذلك الفخ الخطير الذي كان قد نصب له.فكانت نتيجة اجتنابه المعصية سبباً لبصيرته وحصوله على رؤية بعض مواقف البرزخ فصار يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه الآخرون بحيث إنه حينما كان يخرج من البيت كان يرى الأشخاص على صورهم الحقيقة وتنكشف له بعض الأسرار.

نقل عن الشيخ أنه قال: (خرجت ذات مرة من مفرق شارع مولوي عبر شارع سيروس إلى مفرق شارع كلوبنك ورجعت في الطريق نفسه فلم أشاهد إلا صورة إنسان واحد).

كيفية التربية الإلهية

وهكذا استجاب الله دعا شاب استدرج إلى المصيدة حينما طلب من ربه في ذلك الجو المغري قائلاً (اللهم اصطنعني لنفسك) وأحدث ذلك منعطفاً مصيرياً في حياته وهو منعطف لا يستطيع إدراكه الناس الماديون الذين لا يرون إلا ظاهر الأمور وطوى رجب علي بهذه القفزة مسيرة مئة عام بين ليلة وضحاها وتحول إلى الشيخ رجب علي الخياط أو كمال قال الشاعر :

محبوبي لم يدخل المدرسة ولم يكتب حرفاً واحداً
وإنما بلحظة واحدة أصبح معلماً لمئة مدرس.

كانت الخطوة الأولى من تلك التربية الإلهية هي أن هذا الشاب أصبح ذا سمع وبصر نافذين إلى باطن العالم فهو يرى ما لا يراه الآخرون ويسمع ما لا يسمعه الآخرون وقد خلقت هذه الموهبة الباطنية لدى الشيخ اعتقاداً منه بأن الإخلاص يؤدي إلى انفتاح سمع وبصيرة القلب ولهذا فهو كثيراً ما كان يؤكد لتلاميذه:

(أن المرء إذا عمل لله يفتح الله قلبه سمعاً وبصيرة)

للقلب عين وأذن

وهنا يقول قائل: وهل للقلب عين وأذن وهل يستطيع الإنسان رؤية شئ أو سماع صوت بغير عينية وأذنيه الظاهريتين؟

والجواب نعم يستطيع ذلك وهناك أحاديث نقلتها المصادر الشيعية والسنية تؤيد صحة هذا الرأي وإليك بعض النماذج منها:

ورد عن الرسول (ص) أنه قال (ما من عبد إلا وفي وجه عينان يبصر بهما أمر الدنيا وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينية اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعده بالغيب فآمن بالغيب على الغيب)

وجاء في حديث آخر عنه (ص) (لولا تمزع قلوبكم وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما اسمع).

وجاء عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: (إن القلب أذنين: روح الإيمان يساره بالخير والشيطان يساره بالشر فأيهما ظهر على صاحبه غلبه).

الفصل الثاني

⮙ الإمداد الغيبي

جاء في نهج البلاغة أن الإمام علياً (ع) قال: (وما برح لله – عزت آلاؤه – في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والسماع ولأفئدة...)

وعباد الله الصالحون هم الذين جاء وصفهم في المناجاة الشعبانية على النحو التالي:
(إلهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك فناجيته سراً وعمل لك جهراً)
بعد أن أفلت هذا الشاب الخياط من مصيدة النفس المرأة فتح الله قلبه ونوره وأصبح في عداد عباد الله الذين حظوا بإلهام الغيب تارة في اليقظة وأخرى في المنام وهذه هداية لا يحظى بها إلا الخاصة من المجاهدين المخلصين.
وقد بين الحديث النبوي هذه الهداية بالقول: (إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وألهمه رشده).

⮙ جزاء التفكير بالمكروه

أحد الانعكاسات القيمة للهداية الإلهية بالنسبة للأشخاص الذين يخضعون لتلك العناية الإلهية هي تنبيههم إلى عيوب أنفسهم فقد جاء في حديث عن رسول الله (ص) أنه قال (إذا أراد الله عزوجل بعبد خيراً فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره في الدنيا وبصره بعيوب نفسه).
وبعد أن خضع هذا الشاب الخياط للعناية الإلهية الخاصة نال نصيباً من هذا الإلهام.
نقل آية الله أحمد الفهري أن الشيخ حكى له ذات يوم:
(كنت ذاهباً في أحد الأيام إلى السوق لعمل ما وبينما أنا أسير في الطريق إذ خطر بذهني تفكير مكروه فاستغفرت الله منه وحينما كنت أسير إذ مرت من جانبي إبل تحمل الحطب إلى المدينة وفجأة رفسني أحد الجمال ولولا أنني ابتعدت عنه سريعاً لأوجعتني رفسته فذهبت إلى المسجد وبقيت أفكر في علة هذا الأمر ودعوت الله أن يطلعني على حقيقة المر فقيل لي في عالم المعنى:

هذا نتيجة تفكيرك بالمكروه الذي خطر ببالك!
فقلت: ولكنني لم أقترف ذنباً
فقيل لي: ولذلك رفسة الجمل لم تصبك.

⮘ العبرة من مصير بلعم بن باعوراء

من جملة الأشخاص الذين أعجبوا بالشيخ هو آية الله الميرزا محمود- إمام جمعة زنجان- وهو رجل غزير العلم وكان من تلاميذ الميرزا النائيني فقد أعجب هذا الرجل- مع لديه من علم- بما يتصف به الشيخ من صفاء ونورانية وورع على الرغم من عدم اكتسابه لشئ من العلوم المتداولة في الأوساط العلمية الدينية.

قال الشيخ يوماً:
(جاءني ذات مره إمام جمعة زنجان وبرفقته جماعة من وجهاء طهران فعرف لي الأشخاص المرافقين... ونتيجة لكثرة الأشخاص الوافدين علي أخذت تراودني وساوس بأنني قد صرت شخصاً مرموقاً بحيث أصبحت تفد علي كبار الشخصيات... وفي الليل عرضت لي حالة غريبة شعرت على أثرها بالضيق والكرب فدعوت الله متضرعاً أن يكشف عني هذه الحالة فعاد إلى الصفاء الباطني وسرحت في تفكير عميق وقلت في نفسي لو أن هذه الحالة كانت قد استمرت فماذا سيكون مصيري؟ ولم حصل لي ما حصل ؟ وبينما أنا على هذا الحال من التفكير وإذا بهم يعرضون علي بلعم بن باعورا وقالوا لو استمرت بك تلك الحالة لآل مصيرك إلى ما آل إليه مصير هذا الشخص ولكانت نتيجة جهودك وأتعابك أن تكون لك وجاهه في الدنيا ويوم القيامة تحشر مع الشخصيات الدنيوية وليس لك في الآخرة من نصيب.

وانتهت هذه القضية وكنا في أيام الجمعة نقيم مجلساً وامتد بنا المجلس في أحد الأيام إلى قريب الظهر فقال صاحب الدار وبقية الأصدقاء تتناولون الغذاء هنا؟ فقلنا نعم وتغذينا معاً وفي الأسبوع التالي امتد بنا المجلس إلى الظهر أيضاً ومدوا الخوان المائدة أكثر تنوعاً مما كانت عليه في الأسبوع الماضي وتكررت هذه الحالة عدة أسابيع وفي إحدى المرات امتلأت المائدة بأنواع مختلفة من الطعام وفي وسطها قالب زبد قد جلب الأنظار فخطر ببالي ... أن هذه المائدة أقيمت من أجلي وإنني أنا أساس المجلس وإنما دعي بقية الأصدقاء بسببي وعلى هذا المبنى فإنني أولى من غيري بأكل هذا الزبد. وانطلاقاً من هذه الفكرة

تناولت خبزاً وبينما أمد يدي لأخذ الزبد وإذا أرى بلعم بن باعورا واقفا في زاوية الغرفة ينظر إلي ضاحكاً فسحبت يدي.

⮙ تبيت شبعاناً وجارك جائع؟

يقول أحد تلاميذ الشيخ إنه سمعه يقول رأيت في إحدى الليالي في عالم الرؤيا وكأني مجرم أقاد إلى السجن وفي صبيحة اليوم التالي شعرت بالاستياء وبقيت أسائل نفسي عن سبب تلك الرؤيا وعلمت بفضل الله أن موضوع تلك الرؤيا يتعلق بجاري فطلبت من زوجتي تقصى الأمر وإعلامي بالخبر.

كان جاري يعمل بناءً وعلمنا أنه مرت عليه عدة أيام كان خلالها عاطلاً عن العمل وقد بات الليلة الماضية وهو وزوجته جائعين وقالوا لي الويل لك أتنام شبعاناً وجارك جائع؟!

كنت أدخر في حينها من النقود ثلاثة عباسيات فأخذتها وأضفت إليها عباسياً آخر اقترضته من بقال المحلة وقدمتها إلى جاري مع الاعتذار إليه وطلبت منه أن يخبرني متى ما كان عاطلاً عن العمل أو لم يكن لديه نقود.

⮙ محبة الأولاد في الله

قال سماحة الشيخ في إحدى المرات (رأيت في إحدى الليالي حجاباً لا أستطيع اختراقه والوصول إلى محبوبي فاستطلعت حقيقة الأمر ووجدت بعد التضرع إلى الله أن ذلك الحجاب جاء نتيجة لمشاعر الحب التي خطرت في ذهني عصر أمس حينما كنت أمعن النظر لقامة ولدي الجميلة وقيل لي أن يجب أن يكون حبك إياه لله فاستغفرت ربي...)

⮙ كثرة الأكل تولد الحجب (حجاب الطعام)

نقل أحد محبي الشيخ: أحس الشيخ بضعف في بدنه وهو في مجلس كان يقعد في دار أحد أصدقائه قبل أن يبدأ بالحديث فطلب رغيفاً فجاءه صاحب الدار بنصف رغيف فتناوله وبدأ بعد ذلك بالحديث في ذلك المجلس وفي الليلة التالية قال:

(سلمت الليلة الماضية على الأئمة لكني لم أراهم فتوسلت إلى الله لمعرفة سبب عدم رؤيتي لهم فقيل لي في عالم المعنى: لقد أكلت نصف ذلك الرغيف فزال ضعفك فلماذا أكلت النصف الثاني؟!

لا بأس أن يأكل المرء من الطعام ما يسد رمقه ولكن كل ما زاد عن ذلك يحدث في القلب حجاباً وظلمة.

الفصل الثالث

⮘ الكمال المعنوي

هناك حديث مشهور يعرف عند أهل المعرفة بحديث (التقرب بالنوافل) وهو حديث نقله محدثو الشيعة والسنة – بشئ من التفاوت – عن رسول الله (ص) أنه قال: (قال الله عزوجل ... ما تقرب إلي عبد بشئ أحب إلى مما افترضت عليه وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها: إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته)

والمقصود بالنافلة في أحاديث (التقرب بالنوافل) هي جميع العمال التي يؤديها الإنسان دون الواجبات وتكون سبباً في سمو حركته باتجاه الكمال المطلق والمقصود الأسمى للإنسانية.

يستطيع الإنسان- استناداً إلى هذه الأحاديث – أن يتقرب من خلال الأعمال الصالحة إلى الله خطوة خطوة إلى أن يبلغ الغاية القصوى للعبودية بحيث تكاد عينه لا ترى شيئاً إلا لله ولا تسمع أذنه شيئاً إلا لله ولا يتلفظ لسانه بشئ إلا في سبيل الله ولا يطلب قلبه شيئاً إلا الله.

وبعبارة أخرى إذا ذابت إرادة المرء في إرادة الله يصير الله – كما يفيد التعبير الوارد في أحاديث التقرب بالنوافل – عينه وأذنه ولسانه وقلبه إلى أن ينال في ختام المطاف جوهر العبودية وهو الربوبية وهذا ما عبر عنه سماحة الشيخ بقوله:

إذا كانت العين تبصر في سبيل الله تصبح (عين الله) وإذا كانت الأذن تسمع في سبيل الله تصبح (أذن الله) وإذا كانت اليد تعمل في سبيل الله تصبح (يد الله) إلى ان يصل الأمر إلى القلب فيكون عرش الله حيث قيل:

(قلب المؤمن عرش الرحمان)

وقال الإمام الحسين (ع) (جعلت قلوب أولئك مسكناً لمشيئك)

يستدل من خلال الدراسة الدقيقة والمنصفة لأحوال الشيخ أن التحول المعنوي الذي حصل في حياته بسبب إعراضه عن الشهوات في سبيل الله- فضلا عما لقيه من التربية الإلهية والإلهام والإمداد الغيبي- هو الذي رفعه إلى هذه الدرجة من الكمال المعنوي ولعل هذا هو السر الكامن من وراء ولعه بترديد هذه الأبيات:

جمالك هو الذي أرشدني في مدرسة الأزل

وكرم لطفك أوقعني في محبتك
ونفسي الأمارة مالية لا رتكاب الباطل
لكن فيضك أنقذني من مخالبها

⮙ تفكره في التوحيد

نقل أحد تلاميذ الشيخ- ممن كان على صلة به مدة تناهز ثلاثين سنة- أنه ذهب ذات مره بأمر من سماحة الشيخ لزيارة آية الله الكوهستاني فقال ضمن كلامه: كل ما كان لدى المرحوم الشيخ رجب علي الخياط إنما هو التوحيد لأنه كان كثير التفكر في التوحيد.

⮙ فناؤه في الله

وصف الدكتور حميد فرزام- الي استفاد من مجالس الشيخ لسنوات طويلة- الشيخ على النحو التالي: كان الشيخ علي نكوكويان رحمه الله عارفاً ورعاً وقد وصل على أثر تهذيب نفسه وصفاء باطنه إلى مقام الفناء في الله والبقاء بالله وبلغ بفضل عمله بأحكام الشريعة والسلوك في مقامات وأحوال الطريقة وبفضل الله ورعايته حبَه الله عزوجل منزل الحقيقة.

⮙ حبه لله عزوجل

وقال أحد تلاميذ الشيخ في وصفه: كان المرحوم الشيخ ممن سخر وجوده لله حيث لم ير في الوجود إلا الله وكان يرى الله في كل شئ وكل ما يقوله فهو عن الله وكان الله هو أول كلامه وآخره فقد كان عبداً محباً لربه ولأهل البيت عليهم السلام ومن الطبيعي أن التقديس يختلف عن الحب والشيخ رجب علي كان محباً وكان أبرز صفة فيه هي حب الله والعمل لله ومن يحبون في الأمور المعنوية تظهر آثار تلك المحبة في أعينهم ولم تكن عينا الشيخ عينين عاديتين وإنما كان يبدو وكأنه لا يرى غير الله.

كان يعتبر كل لذة بغير الله ذنباً فكان في أيام الصيف الشديدة الحر يتبرد بمروحة يدوية وما إن شعر بالبرد قال:

(أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير أنسك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل شغل بغير طاعتك)

ووصف واحد آخر من تلاميذ مدى حبه لله على النحو التالي: كان الشيخ على درجة من الحب لله بحيث إنه لم يكن على استعداد للتحدث عن غير الله إلا بما هو ضروري من الكلام وكان في بعض الأحيان يضرب مثلاً قصة مجنون ليلى حيث لم يكن قيس بن الملوح العامري يطيق سماع كلام آخر سوى ما

يخص ليلى: ويقال: إن قيس سئل ذات مره: هل الحق مع علي (ع) أم مع عمر؟ فقال الحق مع ليلى وكان الشيخ يقول: (حتى لو كانت هذه القصة لا علاقة لها بالحقيقة فهي تقرب الحقيقة إلى الأذهان).

⮙ منزلته الرفيعة

لقد بلغ هذا الفتى الخياط من خلال حبه لله وكمال إخلاصه أسمى منزلة ووصل إلى الغاية العليا وهذا يعنى- كما ورد في الحديث- أنه سلك طريقا غير الطريق المتعارفة لبلوغ كمالات ومقامات أهل المعرفة.

جاء في حديث عن الإمام الصادق (ع) انه قال:

(إن أولي الألباب الذين عملوا بالفكرة حتى ورثوا منه حب الله- إلى أن قال- فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبته في خالقه فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى فعاين ربه في قلبه وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء وورث العلم بغير ما ورثه العلماء وورث الصدق بغير ما ورثه الصديقون إن الحكماء ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة

⮙ اختراقه لجميع العوالم

ذكر أحد محبي الشيخ- ممن رافقه سنوات طويلة- ما له من الكمالات المعنوية بقوله: لم يكن هناك حجاب بينه وبين الله لشدة حبه له ولأهل البيت عليهم السلام وكان قادراًً على الوصول إلى جميع العوالم والتحدث مع الأرواح الموجودة في البرزخ منذ بداية الخليفة وإلى يومنا هذا إضافة إلى ذلك كان إذا مشاهدة ما مر به كل إنسان طوال حياته فبإمكانه ذلك وباستطاعته أن يحكي بعض علائمه ويكشف عما يريد كشفه وفي حدود ما يؤذن له به

⮙ رؤيته للمكلوت

إن رؤية ملكوت السماوات والأرض ببصرة القلب تعتبر مقدمة لمرتبة رفيعة من عين اليقين وهو ما يحصل عن مشاهدة العيان كمن مشى ووقف على ساحل البحر وعاينه.

(وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَهِيمَ مَلَكُوت السمَوَتِ وَالأَرْضِ ولِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)

جاء في حديث عن رسول (ص) أنه قال: (لَولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت)

وكل الذين استنفذوا أنفسهم من مكائد النفس والشيطان تنكشف الحجب عن قلوبهم فيستطيعون مشاهدة ملكوت السماوات والأرض في صف (أولو العلم)

وإلى جانب الملائكة.
(شهِدَ اللّهُ أَنّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ وَ الْمَلَئكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ)
ينقل أحد تلاميذ الشيخ قائلاً: سألت المرحوم الحاج المقدس هل صحيح أن رسول (ص) قال:
(لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت)؟
فقال: نعم
قلت: وهل ترى أن ملكوت السماء والأرض؟
فقال: لا ولكن الشيخ رجب علي الخياط كان يرى ذلك

⅄ الشيخ في سن الستين

نقل عن المرحوم الشيخ عبد الكريم حامد: أن الشيخ في سن الستين كان حالة إذا أمعن النظر فيما يريد عرف كل ما يريد.

⅄ أين علمي من علمه؟!

يقول الدكتور حميد فرزام: كنت أذهب إلى الشيخ في ليالي الجمعة وأشارك في صلاة الجماعة والدعاء فتبادرت إلى ذهني أسئلة لا بد من طرحها على الشيخ في لقاء خاص. ولهذا فكرت في زيارته في منتصف الأسبوع.
وجئته عصر يوم الاثنين بخصوص هذه الأسئلة فوجدت في مجلس الشيخ المرحوم حجة الإسلام الدكتور محمد محققي وهو أستاذ جامعة ووكيل لآية الله البروجردي وكان رجلاً نورانياً ولم تكن لي معرفة سابقة به ولم أكن رأيته من قبل وعلى كل حال فقد استأذنت منهما وجلست واستقيت فائدة كبرى من محاورتهما.
وانتهى اللقاء قبيل الغروب واستّن الدكتور محققي للانصراف وبعده بلحظات ودعت الشيخ وأسرعت بالالتحاق بالدكتور فاستوقفته وقلت له:
أريد إن تعرفني بنفسك أكثر؟ فقال: اسمي محققي وعملي معلم فقلت له: إنني أحضر مجلس الشيخ لأجل الاستفادة أما أنت ففي غنى عن هذا وكان غرضي أن أرى بماذا يجيبني فقال لا يا سيدي إن معلوماتنا ما هي إلا مجرد معلومات تعلمناها من الكتب الدراسية ولكن تعال وانظر ماذا عند الشيخ من معلومات فقد بلغ مرحلة يرى فيها الكثير من الأشياء فأين عملي من علمه؟!
قلت: وكيف ذلك؟
قال: في المرة الأولى التي زرته بها سألني- بعد التحية والسلام- عن عملي فقلت : معلم

فقال: وماذا غير التعليم؟
قلت: أستاذ في الجامعة وأدرس.
قال: لا ولكن أرى انك تشتغل أشياء كروية الشكل!
فتفاجأت من كلام الشيخ وقلت:نعم منذ سنوات طويلة وأنا أشتغل في صناعة (كرات جغرافية) وأبيعها لتمشية أموري المعاشية ولا أحد يعلم بهذا!
ثم بدأ الدكتور فرزام يتحدث عن ذكرياته في هذا المجال تأيداً لكلام الدكتور محققي قائلاً: نعم مواقف كثيرة من هذا النوع ولو أردت التحدث عنها كلها لا ستلزم ذلك أطناناً من الورق فنتيجة لجهود الشيخ في تهذيب نفسه وصفاء باطنه يرى بكل بساطة أشياء كثيرة ويبينها بدون (الاستغراق في بحر المكاشفة) – كما يقول العرفاء المتصوفة- حيث صرح مرات عديدة أمام محبيه، قائلاً: (يا أصدقائي لقد من الله علي بكرامة فأنا أشاهد الأشخاص وهم في عالم البرزخ) وبهذه المناسبة سأذكر في ما يلي عدة مواقف من هذا النوع:

الأول: مساعدته للعامل:
كان في محلتنا عامل اسمه (علي قضاتي) وهو رجل صالح من أهالي آذربايجان يعمل أحيانا في الدور المجاورة أو في دارنا مقابل أجور قليلة وكان يرتدي في فصلي الصيف والشتاء ثياباً عسكرية طويلة ولم يره الشيخ من قبل وفي يوم من الأيام وبدون أي مقدمة قال لي الشيخ:
(الرجل الطويل الذي يرتدي ثياباً عسكرية ويأتي للعمل في داركم أحياناً رجل مسكين ويعيل اسرة كبيرة ويجب أن تقدموا له مزيداً من العون)

الثاني: تنهزم من الميدان سريعاً!
خرجت في صبيحة يوم من أيام الخميس من البيت في حالة غضب وفي السماء حينما جئت إلى الشيخ كان سائر الأصدقاء يتهيأون لصلاة المغرب وسماحة الشيخ جالس في أحد أركان الغرفة وعندما وقع بصره علي قال (تنهزم من الميدان سريعا) وهز رأسه متعجباً ثم قرأ هذا البيت وهو من أشعار حافظ الشيرازي:

يجب السير رقصاً تحت سيف أحزان
فمن يقتل بذلك السيف يكون قد انتهى على خير العاقبة

فانتبهت إلى خطئي فوراً.

الثالث: أراه يشيب رأسه ولحيته:
قبل حوالي أربعين سنة شعرت بضعف في القلب وأحسست بأن حالتي الصحية خطيرة فخبرت الدكتور كويا بأن وضعي ليس على ما يرام ومن المحتمل أن ... ويبدو أن الدكتور كويا أخبر الشيخ أثناء غيابي بحالتي الصحية فقال له:
(ليكن مطئمن البال فإنني أرى شعر رأسه ولحيته سيبيض شيباً)
والظاهر انه قال أيضاً (سيبلغ من العمر سبعين أو ثمانين سنة)
والحمد لله فقد تجاوزت الآن السبعين من عمري
وسأعرض عن ذكر أمثال هذه المطالب تجنباً للإطالة وانتقل إلى ذكر مطالب أسمى من مرتبة رؤية الأمور والأشياء:

الرابع: الاتصال بروح والدي الدكتور فرزام
في حوالي عام 1377هـ.ق (1337هـ.ش) أي في أواخر عمر الشيخ تقرر أن أسافر إلى مدينة لاهور الباكستانية لتدريس اللغة ولأدب الفارسي في جامعتها.
وفي عصر أحد الأيام جئت لاستشارة سماحة الشيخ في موضوع ذهابي وقلت له: لقد جئتكم للتشاور في أمر ذهابي إلى الباكستان فهل من الممكن أن تشاور مع والدي ووالدتي حول هذا الموضوع؟ فقال: (صل على النبي وآله ثلاث مرات) وشرع بالتحدث معهما ثم بكى فتألمت وقلت له: لو كنت أعلم أنك تتألم وتبكي لما طلبت منك التشاور معهما.
فقال: (لا سيدي ولكن سألتهما عن ظهور صاحب الزمان (عجل الله فرجه) فبكيت لهذا السبب).
وبعد أن وصف لي شكل وملامح والدي قال: (كانت والدتك ترتدي الحجاب (جادر) وتغطي وجهها وتتحدث بلهجة كرمانية ولم أفهم بعض كلماتها)
قلت: أجل يا سماحة الشيخ إذا تحدثوا باللهجة الكرمانية يصعب عليكم معرفة ما يتحدثون به ثم قال الشيخ: وخلاصة كلامهما هي أنك لا تذهب إلى الباكستان ولأي شئ تذهب؟! ولم يتيسر لي الذهاب إلى الباكستان واتضحت لي صحة كلامهما وكلام الشيخ.

⅄ سبب العلاقة بين الدكتور (أبو الحسن شيخ) والشيخ الخياط

نقل لنا نجل الشيخ رجب علي أن المرحوم الدكتور (أبو الحسن شيخ) كان يتحدث عن بداية معرفته بالشيخ بقوله: كان سبب معرفتي بالشيخ هو اختفاء زوجتي حيث لم نعثر عليها رغم بحثنا المتواصل عنها لعدة أشهر وراجعنا

الكثير من أهل الباطن لهذا الغرض ولكن دون جدوى.
وفي يوم من الأيام اعترتني حالة شديدة من القلق فأعطاني أحد الأشخاص عنوان سماحة الشيخ فقصدته وقابلته وحينما رآني تأمل قليلاً وقال: (زوجتك في أمريكا وستعود بعد أسبوعين فلا تقلق عليها)
وهذا هو ما حصل تماماً ؛ إذ كانت زوجتي في أمريكا ثم عادت 0وبعد هذه الحادثة كنت في أغلب الأيام أمر على الشيخ بعد انتهاء عملي في الجامعة ثم أذهب بعد ذلك إلى البيت.
وقال الدكتور أبو الحسن شيخ في اللقاء الذي أجري معه بتاريخ 15 ربيع الأول 1415هـ.ق (11/5/1375هـ.ش) حول تدوين هذا الكتاب:ذهبنا معه في يوم من الأيام إلى المنطقة (بس قلعة) واستأجرنا له حماراً هناك فركبه وأخذت أنا بزمام الحمار أقوده وقلت في نفسي ماذا ينفعني عملي كأستاذ في الجامعة؟! إذا أردت أن أصبح أستاذاً يجب علي أن أسلك هذا الطريق وأقتفي أثر هذا الرجل خطوة خطوة لأكون مثله. وفي إحدى المرات ذهبت معه إلى كربلاء ودخلنا الحمام هناك ودلكت له ظهره ففي صحبتي للشيخ كنت أشعر بالبهجة.

⮝ السيارة جاهزة للحركة!

يقول الدكتور ثباتي: في أحد الأيام اتفق سماحة الشيخ مع الميرزا سيد علي والسيد أكرمي على الذهاب إلى (بي بي شهربانو) وكان موقف السيارات مزدحماً بالمسافرين وعندما جاءت الحافلة الأولى قال الشيخ:
(ليس من نصيبنا الركوب في هذه الحافلة)
فامتلأت بالركاب وانطلقت وجاءت حافلة ثانية فقال: (لا نصيب لنا في هذه الحافلة أيضاً) فازدحم عليها الناس وركبوا وبقي الشيخ وقال الشيخ (سيكون نصيبنا الركوب في الحافلة الثالثة)
وعندما جاءت الحافلة الثالثة ازدحم على أبوابها المسافرون حتى امتلأت بالركاب وركب السائق فشغلها فلم تشتغل فاضطر أخيراً أن يطلب من الركاب أن ينزلوا من السيارة فنزلوا فقال الشيخ لرفاقه: هيا اركبوا فركبوا فقال السائق: أيها السادة هذه الحافلة عاطلة! فقال له الشيخ: (كلا! إنها جاهزة تعال شغل)!
ركب السائق وشغلها فاشتغلت الحافلة وصعد بقية الركاب وانطلقت وعندما جمعوا الأجرة حاول السائق أن لا يأخذ منا أجرة السيارة ولكن بعد أن رأى إصرارنا على دفع الأجرة قال: إذا لن آخذ الأجرة من هذا الشخص- وأشار إلى الشيخ-

⅄ ما أردته قد تحقق

حكى لنا السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني قائلاً في عام 1373هـ.ق (بهمن عام 1333هـ.ش) سافرت مع عائلتي إلى العراق بعد تعييني معاوناً لمحاسب إدارة الجوازات الإيرانية في بغداد وقبل يومين من اندلاع الثورة العراقية ضد النظام الملكي رجعت برفقة عائلتي إلى إيران إلا أن والداتي وأحد أولادي بقيا في مدينة الكاظمية وفي اليوم التالي أعلنت وكالات الأنباء خبر اندلاع الثورة العراقية وقد أغلقت الحدود فانتابتني حالة قلق شديد على والدتي وولدي اللذين تركتهما هناك وراجعت السفارة العراقية بطهران مرات عديدة للحصول على تأشير الدخول إلى العراق وكان هناك أشخاصاً آخرون في حالة مشابهة لحالتي وقد راجعوا السفارة وتلقوا منها رداً سلبياً.

أدى سماع الردود السلبية إلى تفاقم قلقي واقترنت تلك الأيام مع شهر محرم فتوجهت بهذه المناسبة إلى قم وذهبت لزيارة ضريح السيدة المعصومة ووقفت عند رأس السيدة معصومة وأخذت أتوسل إلى الله وصليت الصلاة الخاصة بالإمام موسى بن جعفر(ع) متوسلاً به للحصول على تأشيرة الدخول بعد يومين عدت إلى طهران وكان لي زميل اسمه احمد فيض المهدوي طلب مني يومذاك إعداد لقاء لابن عمه المرحوم سماحة الحجة ضياء الدين فيض المهدوي مع سماحة الشيخ رجب علي الخياط فذهبت برفقة الشيخ ضياء الدين إلى منزل الشيخ ودخلنا إلى غرفته المتواضعة التي كان نصفها مفروشاً فقط طلب من الشيخ قراءة سورة الإخلاص سبع مرات إذ كان سماحته شديد الاعتقاد بالعدد سبعة ثم بدأ بالتحدث وبينما كان منشغلا في الوعظ والإرشاد التفت إلي وقال:

(لقد زرت خير زيارة وقد استجيبت دعوتك وآثارها واضحة وأسألك الدعاء)

فسألته: أي زيارة تقصد؟

قال: (زيارة لقم)

وواصل حديثه في الوعظ والإرشاد

⅄ الدعاء على الغير يجلب الظلمة

وفي تلك الأثناء توجه سماحة الشيخ بالخطاب إلى الحاج ضياء الدين فيض المهدوي قائلاً:

(لا تكثر من الدعاء على أحد لأن الدعاء على الغير يجلب الظلمة وعليك بالدعاء له)

فقال له الحاج ضياء الدين: سمعاً وطاعة وقد كان هذا التنبيه خلال الحديث شيئاً

مبهماً في نظري وفي اليوم التالي شرحت لزميلي أحمد فيض المهدوي ما دار في لقاء الأمس وسألته ما هي قضيه الدعاء الذي يكثر منه الحاج ضياء الدين على أحد الأشخاص؟ فقال: ابن عمي الحاج ضياء الدين لديه ابن يحمل أفكاراً شيوعية ولهذا يدعوا عليه بعد كل الصلاة!
أما ما يخص استجابة دعوتي التي أشار إليها أثناء كلامه فقد أدركت سرها حينما راجعت السفارة العراقية بعد يومين فعندما وصلت إلى السفارة ورآني الموظف قال لي: أعطني جواز سفرك لأختمه! وختم جوازي بالختم الملكي السابق وشطب على كلمة (الجمهورية) وكان تصرف هذا الموظف مدعاة لدهشة الحاضرين وبعد حصول الموافقة سافرت إلى بغداد وتبين لي أن صحفياً أمريكيا واحد فقط استطاع أن يدخل إلى بغداد قلبي.

⮙ أخباره عن تواضع الزهد

نقل أحد تلاميذ الشيخ أن أحد أصدقائه قال: عندما لحد الشيخ مرتضى الزاهد في القبر قال سماحة الشيخ:
(خاطب الباري تعالى منكراً ونكيراً مباشرة: لا شأن لكما بعبدي هذا واتركاه لي... فقد كان طوال عمره متواضعاً للناس في سبيلي ولم تلج في قلبه ذرة من الشعور بالغرور والتكبر).

⮙ تكلمه مع النباتات

نقل أحد تلاميذ الشيخ انه قال: (إن النباتات حيه أيضاً وأنا أتحدث معها وهي تصرح لي بخواصها).

⮙ رويته لمخترع المروحة

ونقل احد تلاميذه أن الشيخ قال ذات مره (قدموا لي في أحد الأيام مروحة كهداية فرأيت في جهنم –البرزخ-مروحة أمام مخترعها).
وهذه مكاشفة تؤيد مفهوم الروايات التي تشير إلى أن الكفار وإن كانوا لا يدخلون الجنة ولكنهم إذا عملوا أعمالاً صالحة فهم ينالون ثوابها.
فقد ورد في الحديث عن رسول (ص) أنه قال: (ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلا أثابه الله. قيل: ما إثابة الكافر؟ قال: إن كان قد وصل رحماً أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله تعالى المال والولد والصحة وأشباه ذلك؟ قيل: وما إثابته في الآخرة؟ قال: عذاب دون العذاب وقرأ (أدخلوا ءآل فرعون أشد العذاب).

⅄ استجابة دعاء الشيخ

ذكر أحمد أصدقاء الشيخ أن أحد تلاميذ الشيخ كانت زوجته عاقراً وطرق جميع الأبواب ولكن دون جدوى إلى أن طلب من الشيخ أن يرشده إلى سبيل للحل وقال: أريد ولداً ليكون خلفاً لي بعد مماتي.

فقال له الشيخ: (سأعطيك الجواب فيما بعد) مضت مدة من الزمن لم أعرف ماذا أجاب الشيخ تلميذه إلى أن دعني ذات مره إلى وليمة فسألته: وما سبب هذه الوليمة؟

فقال لي: لقد رزقني الله بنتاً فتذكرت كلام الشيخ الذي دار في مجلس الشيخ وسألته هل أستجيب دعاء الشيخ؟ قال نعم أستجيب ولكن بشرط قلت كيف؟ قال شرط علي أن أذبح في يوم ميلاد الطفلة من كل عام عجلاً في قرية "مزار السيد أبي الحسن"- وهي قرية تابعة لمدينة ري- وأوزعه لأهالي تلك القرية واليوم هو مرور السنة الأولى من ذلك الشرط.

وقد وفى بالشرط مدة سبع سنوات وفي السنة الثامنة كان في الخارج تعذر عليه الوفاء بعهده فتوفيت الطفلة في تلك السنة فتألم عليها كثيراً وفي أحد الأيام أردت الذهاب إلى مجلس الشيخ فقلت له: هل بإمكانك أن تذهب معي إلى دار الشيخ هذه الليلة؟

فقال: نعم

ذهبت قبله وشرحت للشيخ أن فلاناً متألم لوفاة طفلته فقال: (وماذا فعل؟ أليس من صفات المسلم الوفاء بالعهد؟ إنه لم يف بعهده).

وبعد أن جاء صاحبنا مازحه الشيخ قليلاً ثم قال له: (لا تتألم فإن الله عوضك عنها بعدة قصور في الجنة ولكن إياك أن تهدمها).

⅄ إخباره عن المال المسروق

بعد وفاة الشيخ حكى شخص لأحد أبنائه قليلاً: بعت داري وذهبت لإبداع المال في المصرف فوجدته مغلق الأبواب فرجعت بالمال إلى الدار وفي الليل سرق المال فراجعت مراكز الشرطة ولم أحصل على أية نتيجة فتوسلت بصاحب الزمان(ع) وفي الليلة الأربعين من التوسل رأيت في المنام من أعطاني عنوان دار الشيخ وفي الصباح الباكر جئت إلى دار الشيخ وقصصت عليه أمري فقال لي: (أنا لا أكتب الأحراز ولا أنا فوال والظاهر أنك جئت خطأ)!

قلتك أقسم بحق جدي أنني لن أترك فتأمل الشيخ قليلاً ثم أدخلني إلى الدار وقال: (اذهب إلى مدينة وراميين إلى القرية الفلانية ثم اقصد الدار الفلانية تجد فيها

غرفتين متداخلتين وأموالك موجودة في الغرفة الثانية ملفوفة في قماش حريري أحمر إلى جانب التنور فادخل وخذ المال وأخرج وسوف يدعونك إلى تناول الشاي فلا تضغ لهم واخرج مسرعاً).
قصدت العنوان الذي ذكره لي الشيخ- وإذا هو منزل خادمي- فظن أنني جئت برفقة رجال الشرطة وقصدت الغرفة الثانية فوجدت المال حيث وصف لي الشيخ فأخذته ودعاني صاحب المنزل لتناول الشاي ولكنني صرخت في وجوهم وخرجت.
كان مجموع المبلغ مئة تومان فجئت بنصفه إلى الشيخ رداً لجميله ووضعته بين يديه ودموعي تتساقط على خدي تعبيراً لشكري لكنه رفض أن يأخذ منه شيئاً وبعد التوسل الإلحاح وافق الشيخ على أخذ مبلغ عشرين توماناً ولكن لا لنفسه بل أعاده إلي وقال: (توجد عدة عوائل فقيرة أذكر لك أسماءها وهي بحاجة إلى شراء الأثاث لزواج بناتها يجب عليك الذهاب وشراء ما هو ضروري لهم وإيصاله إلى دورهم وتسلمه بأيديهم ويجب أن تقوم بهذه المهمة بنفسك ولا توكلها إلى شخص آخر). ولك يأخذ الشيخ ريالاً واحد لنفسه!

⮙ رائحة التفاح الأحمر

نقل لنا أحد أصدقاء الشيخ قائلاً: ذهبنا برفقة الشيخ ذات مرة إلى مدينة كاشان وكان من عادته- إذا دخل إلى مدينة ما- أن يذهب أولاً لزيارة مقبرة تلك المدينة.
وعندما دخلنا مقبرة كاشان قال الشيخ: (السلام عليك يا أعبد الله).
وبعدما تقدمنا عدة خطوات إلى الإمام قال : (ألا تشمون رائحة)؟
قلنا: لا أي رائحة؟
قال: (ألا تشمون رائحة التفاح الأحمر)؟
قلنا: لا
وبقينا نسير إلى أن وصلنا إلى مسؤول المقبرة فسأله الشيخ: (هل دفن أحد اليوم هنا)؟
قال : نعم فدلنا على قبر جديد وقال دفنوا اليوم شخصاً في هذا المكان.
وشممنا كلنا منه رائحة التفاح الأحمر فسألنا الشيخ ما هذه الرائحة؟
فقال: (عندما دفن هذا الميت هنا جاءه سيد الشهداء عليه السلام فببركة وجوده عليه السلام رفع العذاب عن أهل هذه المقبرة في هذا اليوم).

⮝ ثواب من غض نظره

ونقل شخص آخر: كانت لدي سيارة أجرة وكنت متجهاً فيها من ميدا "سباه"- حاليا- نحو الجنوب فرأيت سيدة طويلة القامة وجميلة ترتدي "جادر" أشارت لي بالتوقف فوقفت وغضضت بصري واستغفرت ربي فركبت وأوصلتها إلى مقصدها وفي اليوم التالي جئت إلى الشيخ فقال لي وكأنه قد شاهد ذلك الموقف عن قرب (من كانت تلك السيدة الطويلة التي نظرت إليها ثم صرفت وجهك عنها؟ فبغض بصرك عنها ادخر لك ربك قصراً في الجنة وحورية تشبه تلك السيدة).

⮝ النار في المال الحرام

كان هناك مجلس فيه رجل منهمك يمارس السحر والشعوذة وكان أحد أبناء الشيخ موجوداً هناك ونقل لنا قائلاً: تعمدت عرقلة عمله فلم يستطيع القيام بأي عمل ثم انتبه إلى أنني أنا الذي عرقلت عمله فطلب مني بتضرع أن لا أقطع رزقه ثم قدم لي سجادة ثمينة كهدية فأخذتها إلى البيت ولما رآها والدي قال: (من أعطاك هذه السجادة التي ينبعث منها نار ودخان؟ أعدها إلى صاحبها فوراً).

⮝ عطب جهاز الموسيقى

نقل لنا أحد أبناء الشيخ قائلاً: ذهبت ذات مرة برفقة والدي إلى حفل الأزواج لأحد أقاربنا ولما علم المضيف بقدوم والدي طلب من الشباب الذين كانوا يستمعون إلى الموسيقى أن يطفئوا الجهاز فجاؤوا لينظروا من هذا القادم الذي لأجله يطفأ الجهاز ولما رأوا والدي قالوا: وهل نطفئ الجهاز من اجل هذا الشخص؟ فعادوا وشغلوا الجهاز من جديد قدموا لنا الموطا (الآيس كريم) وما أن تناولت نصفها حتى قال والدي (قم لنذهب)!

فقلت له دون أن التفت إلى حقيقة الأمر- لماذا هذه العجلة؟ فأنا لم أكمل الموطا التي بيدي؟

فقال: (أجل قم بنا لنذهب) وسمعت فيما بعد أننا ما إن خرجنا من المنزل حتى احترق الجهاز فجاؤوا بجهاز آخر فاحترق أيضاً هذا الأمر أدى إلى أن يدخل المضيف في زمرة محبي الشيخ.

⮝ شاب عاشق يتوسل

قال أحد أصدقاء الشيخ ذهبنا ذات مرة برفقة الشيخ إلى مدينة مشهد وعندما دخلنا إلى مرقد الإمام الرضا (ع) رأينا إلى جانب شباك الضريح شاباً يبكي ويصرخ ويقسم على الإمام بحق والدته.
فقال لي الشيخ: (أذهب وقل له قضيت حاجتك فاذهب).
فتقدمت إليه وقلت له ما قاله الشيخ فشكرني وذهب فسألت الشيخ عن قضية فقال: (هذا الشاب يحب فتاة ويريد الزواج منها ولا يعطونها له فجاء إلى الإمام الرضا (ع) يتوسل به فقال الإمام الرضا (ع) لقد تمت القضية فليذهب)

⅄ لا تغضب

يقول أحد تلاميذ الشيخ جرى بيني وبين أحد المتدينين ذات يوم نقاش في السوق حول موضوع ديني علمي وقدمت له الأدلة الكثيرة لكنه لم يقتنع بها فغضبت لذلك وانصرفت.
وبعد ساعة جئت إلى الشيخ وما أن رآني قال : (هل حصلت حدة بينك وبين شخص آخر)؟
فقصصت عليه ما جرى بيننا فقال: (لا تغضب في مثل هذه الحالات ولتكن لك أسوة بأسلوب الأئمة الأطهار عليهم السلام وإذا رأيت الطرف الآخر لا يتقبل فاقطع الكلام).

⅄ ما شأنك بلحيته

ينقل أحد تلاميذ الشيخ قائلاً: جئت في إحدى الليالي إلى مجلس الشيخ ورأيت سماحته مشتغلاً بالمناجاة وعندما أخذت أدير النظر في وجوه الأشخاص الحاضرين في المجلس وقع بصري على رجل حليق اللحية فشعرت بالاستياء وقلت في نفسي لماذا هذا الشخص حالق لحيته؟
كان الشيخ متوجهاً نحو القبلة وظهره باتجاهي فتوقف عن الدعاء فجأة والتفت إلي وقال:(ما شأنك بلحيته؟ انظر إلى عمله فلعله يعمل صفة حسنة لا تتوفر فيك) قال هذا الكلام ثم استأنف الدعاء.

⅄ مواجهة وساوس الشيطان

نقل لنا أحد أبناء الشيخ قائلاً: كنت ذات يوم أمشي مع والدي في الطريق وإذا بسيدتين متبرجتين أخذت تسير أحداهما على يمين أبي والأخرى على يساره وفي يد كل واحدة منهما دوامة وتقولان له: انظر أيها الشيخ إلى هاتين الدوامتين وقل أيهما تدور أفضل؟
كنت صغير السن ولا أستطيع أن أقول شيئاً أما أبي فإنه لم يعبأ بهما بل كان

مطرقاً ويسير وهو مبتسم وبقيتا تسيران معنا عدة خطوات ثم غابتا عن الأنظار فجأة فسألت أبي عنهما فقال : (كانتا شيطانتين).

الباب الثالث : تهذيب النفوس

الفصل الأول

⮝ أسلوبه في تهذيب النفوس

كان الشيخ يتمتع بمقدرة عالية على تربية النفوس المؤهلة للتهذيب ونقل أحد تلاميذه حكاية حول هذا الجانب قال فيها كانت لسماحة الشيخ علاقة وطيدة بآية الله محمد علي الشاه آبادي وبينما كنا نسير في أحد الأيام وسماحة الشيخ برفقة آية الله الشاه آبادي قرب (ميدان تجريش) جاءنا شخص وتوجه لآية الله الشاه آبادي بالسؤال التالي: هل كلامك صحيح أم كلام هذا الشيخ؟ (وأشار إلى الشيخ رجب علي الخياط).

فقال له المرحوم الشاه آبادي: عن أي شئ تسأل؟ وماذا تريد؟

قال الشخص: كلام أيكما صحيح

قال له المرحوم الشاه آبادي: أنا أقول الصحيح أما هذا الشيخ فهمته إعداد الإنسان الصالح لأجل بناء المجتمع.

ومع أن هذا الكلام ينم عن غاية تواضع هذا العالم الرباني الكامل فإنه يدل من جانب آخر على مدى تأثير كلام الشيخ ومقدرته التربوية وبراعته في بناء الإنسان

⮝ ستون عاما في الاشتباه

وصف الدكتور حمدي فرزام تأثير كلام الشيخ وجاذبيته قائلا: كان الأستاذ جلال الدين هماني من مشاهير أساتذة جامعة طهران في العلوم والمعارف وخاصة في حقل الأدب الفارسي والعرفان والتصوف الإسلامي ومن أبرع مدرسي هذه الموضوعات في عهدنا وكان بمثابة أستاذ لي حينما تعرفت على الأستاذ همائي وأنا في سن السابعة عشر كان قد حقق في ذلك الوقت كتاب "التفهيم لأوائل صناعة التنجيم" لأبي ريحان البيروني و "مصباح الهداية " و "مفتاح الكفاية" لعز الدين محمود الكاشاني وآلف كتباً من قبيل "غزالي نامه" في شرح سيرة وآثار محمد الغزالي بأسلوب علمي بارع وكتب مقدمة

مستفيضة على كتاب "مصباح الهداية" تعتبر بحد ذاتها دورة كاملة في العرفان النظري والعلمي.
التقي هذا الأستاذ الكبير وهو في سن الستين سماحة الشيخ رجب علي الخياط.
وحينما ذهبت لزيارة الشيخ قال لي:(لقد جاءني أستاذك جلال الدين همائي وبعد أن تحدثت معه تغير حاله وانقلب رأساً على عقب وضرب بيه على جبهته ندماً وحسرة وحدث نفسه قائلاً: يا للعجب لقد سلكت طريقاً خطأً على مدى ستين عاماً!)
أجل كان كلام الشيخ على قدر ممن التأثير بحيث جعل الأستاذ همائي- مع ما يتصف من مرتبة علميه عرفانية رفيعة يفقد- صوابه غفر الله لهما.
وكان الشيخ يقول في أثناء مجلس الدعاء:(يا أصدقائي إن ما أحدثكم به هو في غاية دروس العرفان)
وقال تلميذ آخر من تلاميذه: كانت دروس الشيخ تبدل النحاس إلى ذهب.
وعلى هذه الأساس فإن القضية الأولى التي تستوجب الاهتمام في قدرة الشيخ على التهذيب تكمن في الكشف عن سر هيمنته على الطرف المخاطب ومعرفة الأسلوب الذي يتبعه في التعليم والتربية والتهذيب.

◄ التهذيب بالعمل

تذهب الروايات إلى أن الشرط الأساسي في نحاج لتعليم والتربية هو التطبيق العلمي لعلم الأخلاق بالإرشادات التي يطرحها على التلامذة. قال أمير المؤمنين (ع) في هذا المضمار:
(من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته بلسانه).
والسر الأساسي في تأثير الشيخ وقدرته على التهذيب هو امتثاله لوصية أمير المؤمنين(ع) هذه ودعوته إلى الله بالعلمل قبل القول فهو إذا كان يدعو الآخرين إلى التوحيد العلمي فقد حطم بذلك (ءأرباب متفرقون). وعلى رأسهم صنم نفسه وإذا كانت يحث على الآخرين على الإخلاص في جميع الأعمال فقد كانت جميع حركاته وسكناً لله. وإذا كان يغفل لحظة كان الباري تعالى يرفده بالتسديد وبالنحو الذي كان يقول فيه:
(كل إبرة كنت أغرسها في القماش لغير الله كانت تنغرس في يدي)!
وإذا كان يحض الآخرين على محبة الله فإنه فان بنفسه في محبة الله كالفراشة في دورانها حول الشمعة وإذا كان يحث الآخرين الإحسان والإيثار وخدمة الناس فهو نفسه كان سباقاً في هذا الميدان وإذا كان يصف الدنيا "العجوز"

ويحذر الآخرين من التعلق بها فإن حياة الزهد التي كان يعيشها تمثل أفضل دليل على إعراضه وعدم رغبته في هذه العجوز.
وأخيراً وليس آخراً فإنه إذا كان يدعو الآخرين لمحاربة أهوائهم في سبيل الله فهو شخصياً كان في الخط الأول لهذه الجبهة وخرج بنجاح من ذلك الامتحان العسير الذي تعرض له مثلما خرج منه النبي يوسف (ع) بنجاح.

- **أساليبه التربوية**

يمكن تقسيم الأساليب التربوية التي اتبعها الشيخ في تربية تلاميذ إلى نوعين من الأساليب وهما:

1- الأسلوب التربوي في المجالس العامة
2- الأسلوب التربوي في المواقف الخاصة.

أولاً: في المجالس العامة

كانت المجالس العامة للشيخ تنعقد عادة في داره أسبوعيا وكان أيضا يقيم في أكثر أيام الأعياد وأيام مواليد وشهادة المعصومين عليهم السلام مجالس وعظ في داره وكان له في أيام محرم وصفر وشهر رمضان في كل ليلة مجلس في الوعظ والإرشاد وكانت هذه المجالس تنعقد أحياناً في دور الأصدقاء في كل أسبوع على شكل دورة إلى فترة تقارب سنتين.
كانت المجالس الأسبوعية تقام عادة في ليالي الجمعة بعد صلاتي المغرب والعشاء بإمامته وكان يفتتحها عادة بقراءة أبيات من شعر المرحوم الفيض ... وإليك الأشعار بالمعنى

أستغفر الله من كل ما سوى الله
أستغفر الله من كل وجود مستعار
كل لحظة تمر بدون ذكر
أستغفر الله منها لا يحصى من الاستغفار
واللسان الذي لا يترطب بذكر الحبيب
الحذر من سره وأستغفر الله
انقضى العمر ولم أفق ساعة
من الغفلة، أستغفر الله
ولى الشباب وتصرمت الشيخوخة
ما عملت شيئاً أستغفر الله

يقول أحد تلاميذ: إنه كان يقرأ هذه الأبيات بنحو يستعصي على حبس دموعي وفي أعقاب ذلك يقرأ بشكل رائع واحدة من المناجاة الخمس عشر المنسوبة إلى الإمام زين العابدين (ع).

ويقول آخر: لم أر في مجالس دعاء الشيخ من هو أكثر بكاءً منه فهو كان يبكي بكاءً مريراً يفتت الأكباد.

وبعد انتهاء الدعاء وتناول الشاي كان يبدأ كلمته في الوعظ والإرشاد كان الشيخ على رجة عالية من حسن البيان وكان يحاول على الدوام أن ينقل في كلماته حصيلة ما أدركه من القرآن والأحاديث وما توصل إليه من حقائق حولهما إلى الآخرين كان يخاطب الحاضرين في مجلسه بكلمة (أيها الرفقاء) وتدور المحاور الإسلامية لكلامه حول موضوعات التوحيد والإخلاص وحب الله وحضور القلب والأنس بالله وخدمة الناس والتوسل بأهل البيت عليهم السلام وانتظار الفرج والتحذير من حب الدنيا ومن الأنانية وهوى النفس وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل في الفصول اللاحقة إن شاء لله تعالى.

قال الدكتور ثباتي حول بداية معرفته بالشيخ وكيفية مجالسه ما يلي: تعرفت في السنوات الأخيرة من مرحلة الثانوية بالشيخ بواسطة الدكتور عبد العلي كوبا- الذي يحمل شهادة الدكتوراه في الفيزياء الذرية من فرنسا- وبقيت أتردد على مجالسه مدة عشر سنوات. كانت ذات نطاق محدود ويحضرها عدد قليل من الأشخاص وتتسم مجالسه بطابع خصوصي أكثر من الطابع العام ومتى ما ازداد عدد الحاضرين وشارك في المجلس أشخاص غرباء كان يؤجل حديثه الخاص إلى وقت آخر ومعنى هذا أنه لم يكن راغباً في كسب المزيد من التلاميذ والمحبين.

لم تكن مجالسه تتضمن سوى بضع كلمات ونصائح ومواعظ تعقبها عادة قراءة الدعية وكانت بعض الكلمات مكررة تقريباً ولكن تتسم بطابع روحي يبعد الكلل والملل عن نفس الإنسان مهما تكررت على سمعه.

ومثل كلماته في روعة البيان كمثل كلمات القرآن التي مهما أكثر الإنسان من تلاوتها يراها غضة وكأنه لم يسمعها من قبل.

كان مجلسه يتصف بالبعد الروحي بحيث أن أحد لم يكن يتحدث فيه عن القضايا الدنيوية والمادية وإذا تحدث فيها أحد عن شؤون اعتيادية كان الآخرون يشعرون بالاشمئزاز من حديثه. كانت أحاديث سماحته تنصب على أبواب القرب إلى الله وحب الله والسير إلى الله وكان يلخص موضوع السير إلى الله في كلمتين ويقول:

(يجب أن تغير مرشدك من الآن أي كل ما كنت تفعله إلى يومك هذا إنما كان

لنفسك ويجب عليك من الآن فصاعداً أن تفعل كل شئ في سبيل الله وهذا هو أقرب الطرق إلى الله "اسحق ذاتك واحتضن محبوبك").
كل المنطلقات الذاتية في وجود الإنسان مبعثها حب النفس ومال لم يتحول الإنسان إلى محب الله فإنه لا يبلغ المرتبة الرفيعة ومعنى ما قاله الشاعر:

إذا تحررت من قيود ذاتك اندمجت مع الحبيب
وإلا يذهب كل عملك هباءً إلى الأبد

يجب أن تكون أعمالك لوجهه وأن تكون مقرونة بحبه أي أن تحبه وتؤدي أعمالك حباً له فحب الله والعمل في سبيله هو السر الكامن وراء تقدم معنوي يحرزه الإنسان وهذا لا يتم إلا بمخالفة هوى النفس.
وعلي أي حال أن كل تقدم يحرزه الإنسان إنما يكون في ظل كبح أهواء النفس وما لم يصارع المرء نفسه ويتغلب عليها لا يتسنى له إحراز أي تقدم.
كان سماحته يقول عن خصلة العجب:

هنا يشترون الأجسام الضعيفة والقلوب المتعبة
أما سوق العجب ففي الجانب الأيسر

وكان يقول: (قيمة كل امرئ بمقدار ما يريده فإذا كان يريد الله فقيمته مطلقة وإذا كان يريد الدنيا فقيمته بقدر ما يطلب)
لا تقل قلبي يريد كذا وكذا ولكن انظر إلى ما يريده الله فإذا أردت أن تدعو الناس إلى وليمة فهل تدعو إليها كل من يريده الله أم تدعو إليها من تريده أنت؟
وما دمت منقاداً لأهوائك النفسية فلن تبلغ أية مرتبة القلب بيت الله فلا تفتحه لأحد غيره ويجب أن يكون الحكم فيه لا لغير فقد سئل الإمام علي (ع) كيف بلغت هذه المرتبة؟
قال: (جلست عند بوابة قلبي فلم أدخل فيه غير الله).
وكان بعد الانتهاء من كلمته يقدم للحاضرين شيئاً من المأكولات ثم تبدأ من بعدها المناجاة وكانت مناجاته تستصغي الآذان لسماعها وحالاته تستميل الأبصار لرؤيتها كان يقرأ الأدعية على سجيته من غير تكلف وكان دعاؤه أشبه ما يكون بمغازلة حبيب لحبيبه وكأنه أم تبحث عن ولدها المفقود كان يبكي من صميم قلبه ويئن وهو يتحدث مع الله.
كان يشعر أحياناً وكأن تلك الأدعية تتخللها مكاشفات تظهر آثارها وعلائمها بين طيات كلماته وحالاته وكان يأمل من أصدقائه أن تنكشف لهم رؤية الملائكة

والأئمة عليهم السلام مثل تلك المجالس فلذا كان أحيانا يعتريه الأذى لأنه لم يرهم قد وصلوا إلى المستوى المطلوب الذي يأمله منهم.
حينما كان يعود أحد من الزيارة كان أول سؤال يوجهه له: (هل شاهدت صاحب الضريح الذي زرته)
بعض تلاميذ حالفهم النجاح وحصلت لهم حالات معنوية ومكاشفات أما الآخرون فبقوا يتعثرون في مسيرتهم وراءه وعلى كل حال فإن مناجاته كانت تتسم بالشوق والحرارة فهو كان يدرك عمق معنى تلك الأدعية ويؤكد كثيراً أهمية ما يرد فيها من عبارات ويعمد إلى تكرارها أحياناً ويوضح معانيها أحياناً أخرى.وكان يكثر من قراءة دعاء (يستشير) والمناجاة الخمس عشرة وكان يعتقد أن دعاء يستشير أشبه ما يكون بمغازلة الحبيب لحبيبه.
أما في أيام فكان يقل من الكلام ويكثر من قراءة مصيبة أهل البيت عليهم السلام من كتاب (طاقديس) ويبكي ثم يبدأ بعدها بالمناجاة.

⮙ تأكيد أهمية طاعة الله ومخالفة هوى النفس

كان سماحة يعتقد أن الحكمة من الخلق هي أن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض ومتى ما بلغ هذه الغاية يصبح بإمكانه أن يفعل فعل الله والسبيل إلى بلوغ هذه الغاية هو طاعة الله ومخالفة هوى النفس حيث كان يقول في هذا المجال
(جاء في الحديث القدسي: يا بن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي).
وجاء أيضاً (عبدي أطعني حتى أجعلك مثلي أو مثلي).
وطبقاً لهذه الأحاديث فإنكم أيها الرفقاء خلفاء الله في أرضه وأنتم خير الثمرة فاعرفوا أنفسكم ولا تنقادوا لهوى أنفسكم وعليكم بالامتثال لأمر الله كي تبلغوا ما تأملون وبهذا تستطيعون أن تفعلوا فعل الله فهو تعالى قد خلق العالم لأجلكم وخلقكم لأجله فانظروا عظمة المقام والمنزلة التي منحكم إياها).
كان الشيخ يعتقد أن المرء ما لم يبلغ مقام الخلافة الإلهية فهو ليس بإنسان ويقول: (صنعت المعلقة لأكل الطعام والفنجان لشرب الشاي وكلمة الإنسان لأجل أن يكون ابن آدم إنساناً كاملاً لا غير).
وكان يكرر على الدوام (إن الباري تعالى من
- إذا امتثلتكم وامة وأنتم أيضاعلي
لأوامر الله يمن عليكم بمثلها أيها
البناء وأيها الخياط هذه البنية التي تصنعها وهذه الإبرة التي تغرسها في القماش اجعلها حباً لله وفي سبيله واجعل الله نصب عينيك في عملك وهذا الثوب الذي

ترتديه وقد اشتريت قماشه بمبلغ مئة تومان للمتر الواحد لا تقل اشتريت المتر منه بمئة تومان بل قل : أعطانيه الله قدم الله ولا تقدم نفسك).

⮝ تشخيص الحالات الباطنية

كان الشيخ قادراً من خلال حواسه الباطنية على معرفة الحالات الباطنية للحاضرين في المجلس إلا أنه لم يطرح قط نقاط ضعف أحد أمام الآخرين إلا إذا كان الشخص المقصود يلتفت وحده إلى نقطة ضعفه ويهتم بإصلاح ذاته ونذكر فيما يلي نماذج من تلك الحالات والمواقف.

الأول: اختبار الشيخ!

ذكر لنا أحد الخطباء البارعين- وهو شخص يتصف بالورع والتقوى- قائلاً في عام (1335هـ.ش) كنت في عصر أحد الأيام في مدرسة الشيخ عبد الحسين- في سوق طهران- إلى جانب مسجد الشيخ عبد الحسين وجاءني في تلك الأثناء الشيخ عبد الكريم حامد- وهو من تلاميذ الشيخ رجب علي الخياط البارزين- وأخذ يتحدث عن أستاذه الشيخ رجب علي وما يتصف به من إخلاص وجوانب معنوية ثم طلب مني أن أذهب معه إلى مجلس الشيخ في ليلة الجمعة وفي الوقت المحدد ذهبت برفقته ودخلنا مجلس الشيخ سوية كان الشيخ متوجهاً نحو القبلة ويقرأ مناجاة أمير المؤمنين (ع) (اللهم إني أسالك الأمان يوم لا ينفع مال ولا بنون...).

وخلفه جماعة من محبيه يرددون الدعاء معه وجلست أنا في آخر المجلس وقلت في نفسي: إلهي إن كان هذا الرجل من أولئك فإني أسالك أن توفقني أن أكون خطيباً في أحد مساجد طهران لأحصل على المال الكثير وما إن خطرت في هذه الفكرة بذهني حتى قال الشيخ في وسط الدعاء : (أنا أقول اترك المال أما هو جاء يمتحنني بالمال).

لم يتحدث الشيخ خلال الدعاء بجملة واحدة باللغة الفارسية عدا هذه الجملة ثم واصل قراءة الدعاء: (اللهم إني أسالك الأمان يوم لا ينفع مال ولا بنون...).

الثاني: حضور شرطي الأمن

أخذت بعض الشخصيات الحكومية والشخصيات البارزة الأخرى تشارك تدريجياً في مجالس الشيخ ومن الطبيعي أنهم كانوا يقصدون داره بحثاً عن مآربهم الخاصة وطلباً (للعجوز)- أي الدنيا- من أسيادهم وكان من بينهم أشخاص يستفيدون من مواعظ الشيخ على قدر ما لديهم من استعداد وأهلية.

ونظراً لكثرة توافد أمثال هؤلاء أمثال الأشخاص أخذت حكومة الشاه تنظر بعين الشك والريبة إلى مجالس الشيخ فدست لهذا الغرض أحد جلاوزتها وهو الرائد (حسن ايل بيكي) فحضر في مجالس الشيخ باسم مستعار كي لا يعرف ومهمته إخبار السلطة بحضور تلك الشخصيات الحكومية عند الشيخ.
وعندما دخل ذلك الشرطي إلى المجلس قال الشيخ ضمن مواعظه للحاضرين: (توجهوا إلى ربكم ولا تعطوا لغيره مجالً إلى قلوبكم لأن القلب مرآة وإذا تلوثت بقعة صغيرة منها تظهر بوضوح للأبصار فالبعض يعمل كشرطي أمن ويأتي باسم مستعار فمثلاً يكون اسمه حسن ويأتي باسم آخر.
أثارت هذه الجملة الدهشة لدى هذا الشرطي الذي لم يكن أحد يعرف اسمه الحقيقي وتأثر كثيراً بهذا الكلام وعلى أثره استقال- كما ينقل- من العمل في جهاز السافاك (جهاز الأمن).

⮝ أرض أباك أولاً

كان سماحة الشيخ لا يأذن لبعض الأشخاص بالمشاركة في مجالسه في بعض الأحيان أو كان يشترط عليهم شروط للمشاركة فيها. يروي لنا أحد أصدقاء الشيخ الذي عاشره مده تقارب عشرين سنه واصفاً بداية اتصاله بالشيخ على النحو التالي: على رغم المساعي الحثيثة التي بذلتها في بداية الأمر للمشاركة في مجالسه إلا أنه لم يأذن لي بالمشاركة فيها. إلى أن رأيته في أحد الأيام في المسجد الجامع فسلمت عليه وسألته لماذا لا تسمح لي بالمشاركة في مجالسك؟!
فقال لي (أرض أباك أولاً ثم أتحدث معك) ذهبت في المساء إلى البيت ووقعت على يدي رجلي أبي أقبلهما وأخذت أتوسل به للصفح عني فتعجب أبي من موقفي هذا وسألني ما الخبر؟!
قلت له لا تسألني عن السبب فأنا كنت جاهلاً وأرجوا أن تسامحني وفي ختام الأمر أقنعت أبي بالعفو عني وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى دار الشيخ وما إن رآني قال: (بارك الله فيك فعلت حسناً تعال واجلس إلى جنبي).
وبقيت ملازماً للشيخ منذ ذاك الوقت-أي من بعد الحرب العالمية الثانية-إلى حين وفاته.

⮝ التوجيهات الخاصة

من الخصائص البارزة التي يتصف بها الأستاذ والمعلم الكامل في السلوك إلى الله هي تقديم التوجيهات التربوية في ضوء متطلبات السالك في المراحل المختلفة للسلوك وهذا ما لا يمكن إنجازه في المجالس العامة وأمام الآخرين.

فالطبيب مهما يكن متخصصاً وصاحب تجربة طويلة فلا يمكنه معالجة جميع المرضى الذين يراجعونه بوصفة واحدة وبدواء واحد فلكل مريض دواؤه الخاص وحتى من الممكن أن يصف لشخصين مصابين بمرض واحد دواءين مختلفين بناء على بعض الأسباب والموجبات وهكذا الحال أيضا في ما يخص معالجة أمراض الروح.

أستاذ الأخلاق يعتبر في الواقع طبياً لروح الإنسان ولا يمكنه معالجة الأمراض الأخلاقية طبعاً إلا بعد معرفة جذورها وأسبابها الأصلية أولاً وأن يكون لديه الدواء المناسب لها ثانياً.

كان الأنبياء عليهم السلام بصفتهم المعلمين الأصليين لتربية نفوس الناس يتصفون بهذه الصفة إذ كانوا يشخصون المتطلبات العامة للمجتمع البشري في شتى المجالات وليس هذا فحسب بل كانوا على معرفة تامة بالمتطلبات الخاصة لكل واحد من أبناء الأئمة.

وصف لنا الإمام علي (ع) هذه الخاصة التي كان يتصف بها رسول الله (ص) بقوله: (طبيب دوار بطبه قد احكم مراهمه وأحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة إلية: من قلوب عمى وآذان صم وألسنة بكم متبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة).

والعلماء الربانيون-باعتبارهم خلفاء الأنبياء والأولياء- يتحملون أيضا بهذه الصفة وهم كما جاء في كلام أمير المؤمنين (ع) (هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين ... أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدراً)

⮙ أهمية المعلم الخبير

نقل عن المرحوم آية الله الميرزا علي القاضي (رضوان الله تعالى عليه) أنه قال : (إن أهم ما يستلزم توفره في هذا السبيل هو الأستاذ الخبير المخالف لهوى نفسه ويجدر بطالب هذا السبيل وسالك هذا الطريق أن يبحث عن الأستاذ المناسب حتى وإن أتلف نصف عمره في التفحص والطلب لأن من يعثر على أستاذ هكذا يكون قد قطع نصف الطريق).

يستشف من التأمل في التوجيهات الخاصة التي أدلى بها سماحة الشيخ لتلاميذه أنه بلغ- نتيجة لإخلاصه ومحاربة أهوائه النفسية وبفضل الإمداد الإلهي الذي تلقاه- مرتبة من الكمالات المعنوية التي أعطته القدرة على تشخيص الأمراض الروحية ومواضع الغفلة والحيرة التي تسبب للناس المتاعب والآلام ومعالجتها بالدواء الشافي وهذه الحقيقة أمر بديهي ووضاح لدى كل من له معرفة بحياة سماحة الشيخ.

⮝ المعاصي ومصائب الحياة

يرى الإسلام أن للمعاصي التي يقترفها الإنسان دوراً أساسياً في ما يواجهه من متاعب ومصائب في الحياة فها هو القرآن الكريم يصرح: (وما أصبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)

قال أمير المؤمنين(ع) في تفسير الآية: (توقوا الذنوب فما من بلية ولا نقص رزق إلا بذنب حتى الخدش والكبوة والمصيبة قال الله عزوجل(وما أصبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم).

لو آمن الإنسان حق الإيمان بأن ما يقترفه من الذنوب والمعاصي تنعكس عليه الآلام والمصائب ليس في حياته الأخروية فحسب بل وحتى في حياته الدنيوية أيضاً لما أقدم على أية معصية ولما تعمد الإتيان بأي عمل قبيح وكلما ترسخ هذا الإيمان توفرت الأرضية المناسبة لبناء الإنسان الصالح أكثر فأكثر.

كان سماحة الشيخ يرى ببصيرته الإلهية ورؤيته البرزخية الترابط الموجود بين المعاصي ومصائب الحياة وكان من خلال بيانها للناس يحل بعضاً من المشاكل والمصائب التي يعاني منها المجتمع واتخذ من هذا الأسلوب وسيلة لتهذيبهم وهدايتهم نحو الكمال الإنساني.

⮝ الدين مسموح حتى لكم

يقول أحد أبناء الشيخ: في أحد الأيام جاء إلى والدي المرحوم مرشد جلوئي وشكا له كساد السوق قائلاً: يا أخي ما ادري ما هذا الوضع الذي ألم بنا فقد كانت ظروف عملنا أفضل بكثير مما نحن عليه الآن ففي السائق كنا نبيع ثلاثة أو أربعة قدور من الرز يومياً وكان عدد الزبائن يتناقص تدريجاً وأصبحنا في الوقت الحاضر لا نبيع أكثر من قدر واحد من الرز.

تأمل الشيخ لحظة ثم قال له: (الذنب ذنبك لأنك أنت الذي تطرد الزبائن).

فقال مرشد: أنا لم أطرد أحداً بل أستقبل حتى الأطفال وأقدم لهم نصف كمية الطعام التي أقدمها للكبار.

قال الشيخ: (فمن كان ذلك العلوي الذي تناول الطعام في مطعمك ثلاثة أيام بالدين وفي المرة الأخيرة دفعته وأخرجته من المطعم؟!

خرج مرشد مذهولاً من عند الشيخ مسرعاً إلى ذلك الرجل العلوي فرآه واعتذر منه وعلق بعد ذلك لوحة على باب مطعمه كتب فيها: (الدين مسموح حتى لكم ويقدم لكم قرضاً قدر المستطاع).

⅄ إيذاء الأطفال

قال أحد تلاميذ الشيخ: في أحد الأيام بال ابني الذي يبلغ من العمر سنتين- وعمره الآن أربعون سنة- على الفراش فضربته امة ضرباً مبرحاً حتى كاد ينقطع نفسه وبعد ذلك بساعة ارتفعت حرارة بدنها ارتفاعاً والدواء حوالي ستين توماناً في تلك الظروف الاقتصادية الصعبة ولم تنخفض حرارتها بل أخذت ترتفع أكثر فراجعنا الطبيب ثانية ودفعنا هذه المرة أربعين توماناً لغرض معالجتها وكان هذا المبلغ بالنسبة لي مبلغاً ضخماً في وقتها.

وفي الليل ركب سماحة الشيخ في سيارتي لنذهب إلى المجلس وكانت زوجتي في السيارة قلت إن زوجتي ارتفعت درجة حرارتها وأخذتها إلى الطيب ولكن دون جدوى.

فنظر الشيخ وتوجه بالكلام إلى زوجتي قائلاً: (الأطفال لا يضربون بتلك الصورة استغفري ربك وطيبي خاطر الطفل واسترضيه واشتري له شيئاً تتحسن حالتك).

⅄ إيذاء الزوجة

ونقل التلميذ أيضاً كنا ذات يوم برفقة الشيخ في دار السيد (راد منش).فقلت للشيخ توفي والدي في عام 1352هـ.ق وأريد أن أرى حالته في البرزخ

قال الشيخ (اقرأ سورة الحمد)

ثم تأمل قليلاً وقال: (لا يسمحون له بالمجيء فهو متورط مع زوجته)

قلت: كلم زوجته إن أمكن. فقال: (جاءت زوجة أبيك)

كانت امرأة قروية تزوج أبي بعد زواجه منها عدة زوجات أخريات فهجرت أبي إلى آخر حياتها فكان أبي إذا دخل من باب تخرج هي من الباب الآخر.

قلت للشيخ : اسألها ماذا يجب أن افعل لها حتى ترضى عن أبي؟

فقال: يجب أن تطعم بطوناً جائعة.

قلت: كم يجب أن اطعم

قال: مئة شخص

قلت: هذا عدد كبير بالنسبة لي وأخيرا وافقت على أربعين شخصاً وبعد الموافقة قال الشيخ: (لقد جاء صوت أبيك فما إن وافقت تلك المرأة حتى أفرجوا عن أبيك وهو يقول: قل لابني هذا لماذا تزوجت امرأتين؟ انظر إلى البلاء الذي حل بي يجب عليك مراعاة العدالة بين زوجتيك).

وينقل شخص آخر من أصدقاء الشيخ سألت سماحة الشيخ حالة أبي في البرزخ فقال: (متورط مع أمك).

ورأيت أن كلامه كان صحيحاً إذ إن أبي تزوج امرأة أخرى ولم تكن أمي راضية عنه فقصدت أمي واسترضيتها وزرت سماحة الشيخ في فرصة أخرى فلما رآني قال: (ما أجمل أن يصلح المرء بين شخصين لقد ارتاح أبوك).

⮙ إيذاء الزوج

نقل أحد تلاميذ الشيخ قائلاً كانت هناك امرأة زوجها سيد علوي ومن أصدقاء الشيخ وكانت تؤذيه كثيراً وبعد مدة توفيت
تلك المرأة وحضر سماحة الشيخ أثناء دفنها ثم قال فيما بعد: (كانت روح هذه المرأة في جدال مع نفسها نعم أموت فما الذي يحصل؟ وعندما حل وقت دفنها تجسدت أعمالها على صورة كلب أسود مفترس وما إن علمت أن هذا الكلب يدفن معها تنبهت إلى عظم البلاء الذي جننته على نفسها خلال حياتها فبدأت تصرخ وتتضرع ولما رأيتها على تلك الحال طلبت من ذلك العلوي أن يعفو عنها ولأجلي قد عفا عنها فذهب الكلب ودفنت في قبرها).

⮙ سخط الأخت

نقل أحد أبناء الشيخ قائلاً: كان أحد المهندسين يعمل مقاولاً في بناء البيوت ثم يبيعها وفي إحدى المرات بنى مئة دار وتراكمت عليه نتيجة لذلك ديون كثيرة ومر بظروف اقتصادية عصبية وصدر حكم بإلقاء القبض عليه فجاء إلى والدي وقال أصبحت متخفياً لكيلا يراني أحد ولا استطيع الذهاب إلى داري خوفاً من إلقاء القبض علي

فتوجه الشيخ لحظة ثم قال:(اذهب واسترض أختك).

فقال المهندس: أختي راضية عني

قال الشيخ:(ملا أنها ساخطة عليك).

فكر المهندس لحظة ثم قال: نعم لقد توفي والدي وترك إرثاً وكان سهمها ألف وخمسمئة تومان وقد تذكرت الآن لم ادفعه لها.

ذهب ثم بعد مدة جاء وقال لوالدي: دفعت لأختي مبلغ خمسة الآف تومان واسترضيها سكت والدي قليلاً ثم قال:

(تقول:إنها لا زالت غير راضية عليك ...هل لدى أختك دار)؟

قال المهندس: كلا بل تسكن في دار مستأجرة

قال الشيخ:(اذهب وملكها داراً من أفضل الدور التي بنيتها ثم تعال لنرى ماذا نستطيع أن نفعل).

قال المهندس:(يا سماحة الشيخ لي شريك في هذه الدور فكيف أعطيها داراً؟

قال الشيخ: (أنا لا أدري أختك الآن لازالت ساخطة عليك).
وأخيراً ذهب الرجل وأعطي أخته من تلك الدور ونقل معها الأثاث وعاد إلى أبي.
فقال الشيخ: (الآن صلحت الأمور)
وفي اليوم التالي توفق إلى بيع ثلاثة من تلك الدور وتخلص من الضائقة المالية التي وقع فيها.

إهمال الأخت

أفلس أحد التجار وأخذ يشكو حالته لصديقة ويحدثه عن وضعه المالي وفي تلك الأثناء مر سماحة الشيخ أمام دكانه فقال له صديقه: أعرض مشكلتك على هذا الرجل فقال التاجر: لا أعرفه
وبعد إصرار صديقة ذهب التاجر إلى الشيخ وبعد التحية والسلام قال لدي مشكلة أود أن أعرضها على سماحتكم ثم شرح حالته للشيخ فقال له الشيخ وهو مطرق رأسه:
(أنت إنسان عديم الرحمة قد مرت أربعة أشهر على وفاة زوج أختك ولم تتفقد وضعها ولا وضع أطفالها وهذا هو سبب الإفلاس الذي تمر به).
قال التاجر: يوجد بينا خلاف
فقال: (هذا هو أساس مشكلتك وأنت أعرف بأمرك).
عاد التاجر إلى صديقه وحدثه بما جرى ثم اشترى بعض اللوازم المنزلية وذهب إلى منزله أخته فاسترضاها وانحلت مشكلته.

سخط الأم

صدر حكم بإعدام عدة أشخاص ومن بينهم شاب فجاء أقارب ذلك الشاب إلى الشيخ وطلبوا منه مساعدتهم للعثور على حل لتخليص هذا الشاب من الإعدام فقال لهم الشيخ: (مشكلته هي سخط والدته عليه).
فذهبوا إلى والدته وسألوها عن السبب فقالت إنني دعوت له ولكن بلا نتيجة فقالوا لها إن سماحة الشيخ يقول إنك ساخطة عليه.
قالت: صحيح كما يقول فهو حديث عهد بالزواج وفي أحد الأيام جمعت الخوان ووضعت الأواني في الصينية وأعطيتها لزوجته لتأخذها إلى المطبخ فأخذها من يدها وقال لي: ما جئت بها لتكون خادمة لك.
وعلى كلا حال ففي النهاية رضيت الأم عن ابنها دعت له وفي اليوم التالي أعلن انه حكم عليه خطأ وأطلق سراحه

⅄ كسر قلب الأخت

نقل أحد أصدقاء الشيخ: أنه أصيب بمرض عضال ولم تنفعه الأدوية فأخبرت الشيخ أن والدي مريض وقد مرت عليه سنه كاملة وهو طريح الفراش فسألني الشيخ: (هل لك عمة).
قلت: نعم
فقال: (مشكلتك مع عمتك وإذا دعت له يشفى من مرضه)
فطلبت من عمتي الدعاء لوالدي ففعلت ولكن والدي لم تتحسن حالته الصحية عدت إلى الشيخ وأخبرته أن عمتي قد رضيت عن والدي ولكن لم يحصل تحسن في صحته
فقدم لي الشيخ توجيهات للإحسان إلى أولادها الأيتام الأربعة وقال: (ثن تطلب منهم بعد ذلك الدعاء لأبيك).
ففعلت ما أمرني به الشيخ وسألت عمتي بعد ذلك عن سبب سخطها على أبي فقالت بعد وفاة زوجي أخذني أبوك أنا وأولادي الربعة للعيش معه في داركم وفي أحد الأيام حصل شجار بيني وبين أمك ولما دخل أبوك ووجدنا نتشاجر طردني أنا وأولادي من الدار! فشعرت في ذلك الموقف بانكسار شديد.
وبعد أن تمكنت من استرضاء عمتي تحسنت الحالة الصحية لوالدي غير أنه لم يشف شفاءً تاماً فعدت إلى الشيخ وشرحت له الحالة فأمرني هذه المرة بالإحسان إلى أحد السادات فتحسنت حالة والدي الصحية تماماً.

⅄ إيذاء ابن صاحب العمل

نقل أحد تلاميذ الشيخ إن سماحته كان يقول: (لا تأتيكم مصيبة من غير سبب).
وفي إحدى المرات شج رأسي فذهبت برفقة أحد الأصدقاء إلى الشيخ وقال له صديقي أنظر العمل الذي فعله وأدى إلى شج رأسه فتوجه الشيخ ثم قال: (تشاجر مع صبي في المصنع).
عرفت أن كلام الشيخ كان صحيحاً فأنا كنت اعمل في ثني الحديد وكان هذا الاختصاص نادراً والمتخصصون بهذه المهنة يتدللون على صاحب العمل وفي أحد الأيام اعترض ابن صاحب العمل على عملي اعتراضاً صحيحاً لكنه لا يتعلق به فوقفت بوجهه وأغلظت له في الكلام حتى بكى فقال الشيخ (إذا لم تسترضه فسيطول بلاؤك). فذهبت إليه واعتذرت منه.

⅄ إيذاء العلوية

كان سماحة الشيخ ذات يوم في دار أحد محبيه إذ جاءه عدد من موظفي دائرة الضرائب لزيارته فقال أحدهم للشيخ إنه أصيب بدنه بحكة وقد عجز عن معالجتها.

فتأمل الشيخ قليلاً وقال: (آذيت علوية)؟!

فقال الشخص: هن يأتين ويجلسن وراء طاولة العمل ويشغلن أنفسهن بالحياكة وإذا تكلمنا معهن يجهشن بالبكاء!

واتضح أن تلك العلوية تعمل موظفة في الدائرة المالية وقد آذاها بكلامه

وقال الشيخ: (لن تذهب عنك الحكة ما لم تعتذر منها).

ونقل شخص آخر عن تلاميذ الشيخ قصة مشابهة لهذه قائلاً: كنا جالسين مع الشيخ في باحة دار أحد الأصدقاء وكان من بين الحاضرين شخص ذا منصب حكومي رفيع كان يشارك في مجالس الشيخ وكانت رجلة مصابة بمرض يفرض عليه مدها أثناء الجلوس فالتفت إلى الشيخ وهو في تلك الحالة وقال له:

يا سماحة الشيخ إنني مصاب بألم في رجلي ومستمر على معالجتها منذ ثلاث سنوات ولكن دون جدوى

طلب الشيخ من الحاضرين كالعادة قراءة سورة الفاتحة ثم تأمل قليلاً وقال: (لقد حصل هذا الألم في رجلك منذ اليوم الذي صرخت فيه بوجه كاتبة الطابعة ووبختها بسبب سوء طباعتها وكانت امرأة علوية فآذيتها وأبكيتها ويجب عليك حالياً أن تبحث عنها وتعتذر منها وتسترضيها حتى يزول الألم من رجلك).

فقال الرجل: كلامك صحيح لقد كانت المرأة تعمل كاتبة طابعة في الدائرة وقد صرخت بوجهها وبكت.

⅄ غصب حق عجوز

فقد أحد تلاميذ الشيخ حالته المعنوية بعد تناول وجبة من الطعام فاستنجد بالشيخ لتقصي العلة فقال له: (سبب ذلك هو الكباب الذي أكلته ودفع ثمنه التاجر الفلاني لأن هذا التاجر كان قد غصب حق عجوز).

⅄ إهانة الآخرين

قال أحد تلاميذ الشيخ كنا نسير ذات يوم برفقة الشيخ في زقاق (إمام زاده يحي) وفجأة اصطدم شخص يركب دراجة هوائية بأحد المارة فأهان الشخص المار راكب الدراجة الهوائية قائلاً له يا حمار.

قال الشيخ: (تحول باطنه راكب الدراجة إلى حمار رأساً).

وينقل عنه تلميذ آخر من تلاميذه أنه قال: (كنت ماراً في أحد الأيام أمام السوق ورأيت عربة تسير وزمام الحصان بيد الحوذي وفجأة مر شخص أمام العربة فصاح به الحوذي يا حصان فرأيت الحوذي تحول فجأة إلى حصان وانقسم الزمام إلى زمامين).

⮝ القسوة مع الحيوانات

دين الإسلام يذم القسوة حتى مع الحيوانات ولا يجيز للمسلم إيذاء الحيوان أو حتى سبه ولهذا قال رسول (ص) في حديث له: (لو غفر لكم ما تأتون إلى البهائم لغفر لكم كثيراً).

ومع أن الإسلام يجيز ذبح الحيوانات المحللة لأكل لحومها إلا أن لهذا الذبح آداباً يجب مراعاتها بحيث تؤدي إلى تقليل ألم الحيوان إلى أدنى حد ممكن ومن جملة ذلك هو ألا يذبح الحيوان أمام الحيوان آخر فقد جاء في حديث عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: (لا تذبح الشاة عند الشاة ولا الجزور عند الجزور وهو ينظر إليه).

وقد نهى الإسلام بشدة عن ذبح صغار الحيوانات أمام أنظار أمهاتها لأن هذا العمل ينم عن غاية القسوة وتنعكس آثاره السلبية المدمرة على حياة من يفعله.

ينقل احد تلاميذ الشيخ أن قصاباً جاء ذات يوم إلى الشيخ وقال طفلي على وشك أن يموت فما أصنع؟

فقال له الشيخ (قد ذبحت عجلاًً أمام أمه).

فأخذ القصاب يترجى الشيخ لعله يساعده على إنقاذ طفله من الموت.

فقال له الشيخ:(لا يمكن فهي تقول قد ذبح ابني ويجب أن يموت ابنه).

الفصل الثاني

⮝ أساس بناء الذات

(الفلاح) هو المعنى الجامع لكل الكمالات الإنسانية وسبيل الوصول إليه- كما يرى القرآن الكريم- يتخلص في بناء الذات وتزكية النفس فقد أكد الباري تعالى بعد أن أقسم بأشياء كثيرة: (قد أفلح من زكاها).

جميع ما جاء به الأنبياء من قبل الله تعالى لهداية الإنسان إنما هو مقدمة للفلاح ولازهادر الطاقات الإنسانية وأهم المسائل الأساسية في مجال تزكية النفس هي أن يفكر المرء من أين يبدأ وما هو أساس بناء الذات؟

كان الأنبياء يؤكدون أن العمل الأساسي لبناء الذات والخطوة الأولى على

طريقة تزكية النفس هو (التوحيد) وانطلاقاً من هذه الرؤية فقد كان الشعار الأول لجميع الأنبياء هو كلمة (لا إله إلا الله).
(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لآإله إلا أنا فاعبدون).
وكان أول خطاب للرسول(ص) إلى الناس: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا).
ولكن التلفظ بكلمة التوحيد وحده لا يكفي بل إن أساس بناء هو الذات وما يوجب الفلاح والنجاح وازدهار الكمالات الإنسانية هو حقيقة التوحيد والتوحيد الحقيقي وأبرز دليل على بلوغ الإنسان لحقيقة التوحيد بمفهومه الواقعي والكامل هو انه يستطيع الشهادة على وحدانية الله هو والملائكة والذات الإلهية:
(شهِدَ اللّهُ أَنّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَ الْمَلَئكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ)
وقد وصف الشيخ أحد تلاميذه بالقول: كان رحمه الله يبذل قصارى جهده لنيل (لا إله إلا الله) وتحمل في سبيل بلوغ حقيقة هذه الكلمة الطيبة.
وقال آخر: كان سماحته متخصصاً في هذا المجال وكان يسعى بكل جهده أن يوصل الآخرين إلى ما وصل إليه من أجل أن يبلغ بتلاميذ مرحلة التوحيد الحضوري.
كان الشيخ رجب علي الخياط يقول في هذا المعنى (أساس بناء الذات هو التوحيد فكان يريد تشيد بناء لابد وأن يكون الأساس الذي يبني عليه أساساً سليماً ورصيناً وإذا لم يكن القاعدة رصينة ومتينة لا يكون البناء موضع ثقة واطمئنان إذ يجب على السالك أن يبدأ مسيرته بالتوحيد فقد كانت الكلمة الأولى لجميع الأنبياء هي كلمة (لا إله إلا الله) وما لم يدرك الإنسان حقيقة التوحيد ويؤمن بعدم وجود مؤثر آخر في الكون غير الله وأن كل شئ فان إلا وجه ولا يتسنى له بلوغ مرتبة الكمال الإنساني فالإنسان يستطيع من خلال إدراك حقيقة التوحيد التوجه إلى الله بكل وجوده).
وكان يقول أيضاً: (إذ أردت يناديك ربك فعليك أن تنال قسطاً من المعرفة ثم تتعامل معه).
(حينما نقول "لا إله إلا الله" يجب أن نقولها عن صدق وإخلاص وما لم يتخل المرء عن صنم نفسه وهواه لا يمكن أن يكون موحداً أو أن يكون صادقاً في قول لا إله إلا الله فمعنى "الإله" هو ما يستهوي قلب الإنسان وكل ما يهواه قلب الإنسان هو إلهه. وعندما نقول: "لا إله إلا الله" لا بد وأن نقولها بشوق القرآن كله يعود إلى كلمة لا إله إلا الله والإنسان يجب أن يبلغ مرحلة لا يبقى فيها أي أثر في قلبه سوى هذه الكلمة ويفرغ عن قلبه كل ما سواها: (قُلِ اللّهُ ثُمّ ذَرْهُمْ فى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ).

فالإنسان شجرة التوحيد وثمارها ظهور الصفات الإلهية وهو ما لم يثمر فهو غير كامل لأن حد كما الإنسان هو أن يصل إلى الله أي أن يكون مظهراً لصفات الحق عليكم بالسعي لإحياء صفات الله فيكم الله تعالى كريم فكونوا أنتم كرماء أيضاً وهو رحيم فكونوا أنتم رحماء وهو ستار فكونوا أنتم ستارين أيضاً...).

(إن ما ينفع الإنسان هو التحلي بالصفات الإلهية وليس هناك من شئ- حتى الاسم الأعظم- يؤثر في الإنسان كتأثيرها).

(إذا استغرق الإنسان في التوحيد تشمله عناية ربه في كل لحظة برعاية خاصة لم يكن يحظى بها من قبل وتبقى هذه الرعاية تتجدد له في كل لحظة).

➤ تطهير القلب من الشرك

تطهير القلب من الشرك هو الخطوة الأولى على طريق بلوغ حقيقة التوحيد.

ومن هذا المنطلق جاء في الشعار الأصلي للتوحيد هو (لا إله إلا الله) تقدم نفي الآلهة الكاذبة المزيفة على إثبات الإله الحق).

ولكن يجب أن نعرف أولاً ما هو الشرك؟ ومن هو المشرك؟ وهل ينحصر الشرك في الاعتقاد بأوثان جامدة لا حياة فيها؟ أم أن قضية الشرك شئ آخر أوسع من ذلك؟

الشرك المقابل للتوحيد معناه الاعتقاد بقوى وهمية والإيمان بتأثيرها في الوجود وعبادتها من دون المؤثر الحقيقي في الوجود وهو الله الواحد الأحد أما الموحد فهو الذي لا يرى مؤثراً في نظام الوجود غير الله ولا يعبد شيئاً سواه لا من الأوثان الجامدة ولا من الأوثان الحية والمشرك هو من يعتقد بوجود مؤثر آخر في الوجود مع الله فهو يطيعه ويعبد االجمادات تارة ويطيع أصحاب القوة تارة أخرى ويصبح عبداً لأهوائه النفسية ثالثة وأخيراً ينصاع لعبودية هذه النواع الثلاثة.

الأنواع الثلاثة من الشرك المذكور أعلاه مستهجنة في نظر الإسلام وليس هناك من سبيل لبلوغ حقيقة التوحيد إلا بتطهير القلب من الشرك بمفهومه المطلق.

القضية المهمة التي تسترعي الاهتمام هي أن أخطر أنواع الشرك هو النوع الثالث: أي الانقياد لهوى النفس لأن هذا النوع من الشرك تنجم عنه موانع تحول دون اكتساب المعرفة العقلية والقلبية ويكون بمثابة مقدمة للشرك بمعنييه الأول والثاني. (أَ فَرَءَيْتَ مَنِ اتخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلى سمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلى بَصرِهِ غِشوَةً فَمَن يهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ).

وانطلاقاً من هذه الرؤية كان سماحة الشيخ يرى أن صنم النفس أخطر تهدد

سلامة التوحيد ويقول في هذا المعنى:
(كل الكلام يدور حول هذا الصنم الكبير الموجود بين جنبيك).
وقال سماحة الإمام الخميني-رحمه الله- ذلك الرجل المحنك والحكيم والخبير أيضاً في هذا المعنى:
(أم الأصنام هو صنم النفس وما لم يحطم هذا الصنم القوي الكبير فليس هناك من سبيل للسير نحو الله جل وعلا ومن العسير جداً أن يحطم هذا الصنم أو أن يروض هذا الشيطان).
وإذا تغلب الإنسان في هذا الصرع على هذا الصنم يكون قد أحرز نصراً ساحقاً في حياته.

⅄ صارع نفسك

نقل أحد المصارعين المعروفين في ذلك الوقت واسمه (أصغر آقا بهلوان) أن بعض الأصدقاء اصطحبوه ذات يوم إلى سماحة الشيخ فربت على ساعده وقال: (إن كنت بطلاً حقاً فصارع نفسك).!
والحقيقة هي أن تحطيم صنم النفس هو أول وآخر خطوة لإزالة الشرك والوصول إلى الحقيقة التوحيد أي كما قال الشاعر:

إسحق نفسك وعانق الحبيب فإن مسافتك إلى كعبة وصالة خطوة واحدة

فأنت إذا تحررت من ذاتك تكون قد وصلت إلى الحبيب و إلا فستبقى تحترق إلى الأبد وتبقى هباءً في هباء

ولعل هذا المعنى هو أقرب الطرق إلى الله كما نقل أبو حمزة الثمالي عن لسان الإمام سيد الإمام سيد الساجدين(ع) في قوله: (وأن الراحل إليك قريب المسافة).

وكما قال حافظ الشيرازي:

ما دمت تنظر إلى عقلك وفضلك فستبقى بلا معرفة لا أقول إلا نكتة واحدة تحرر من ذاتك حتى يتسنى لك الانطلاق.

⅄ السفر لأجل هذه النكتة

نقل آية الله الفهري عن المرحوم غلام القدسي: أن سماحة الشيخ قدم في إحدى السنوات إلى كرمانشاه وقال لي في أحد الأيام تعال نذهب إلى منزل الشيخ

حيدر قلي سردار الكابلي فذهبنا إليه ودخلنا إلى داره وجلسنا ثم بعد أن قدمت له سماحة الشيخ مرت فترة من الصمت ثم قال المرحوم الكابلي: يا سماحة الشيخ قولوا لنا شيئاً نستفيد منه ؟ فقال الشيخ
(وماذا أقول لمن يعتمد على معلوماته ومكتسباته أكثر من اعتماده على فضل الله)!
بقي المرحوم الكابلي صامتاً عدة لحظات ثم رفع عمامته من فوق رأسه ووضعها على الكرسي وأخذ يضرب رأسه بالحائط إلى درجة أني رققت لحاله وأردت الإسراع لمنعه إلا أن الشيخ أجلسني وقال: (.... لقد جئت لأقول له هذا الكلام وأرجع).

استغفر ربك ألف مرة

نقل أحد أبناء الشيخ أن شخصاً من بلاد الهند اسمه الحاج محمد كان يأتي إلى إيران في كل سنة ويقيم فيها مدة شهر وفي إحدى المرات نزل من القطار في طريق مشهد للصلاة وعندما أراد القطار الحركة أخذ صديقه ينادي عليه (إن القطار على وشك الحركة فأسرع. إلا أنه لم يهتم لنداءات صديقه واستطاع بما لديه من قدرة روحية أن يوقف القطار نصف ساعة وبعدما عاد من مشهد وذهب لزيارة الشيخ قال له الشيخ:(استغفر ربك ألف مرة).
قال الرجل: ولم؟
فقال له الشيخ: لقد ارتكبت خطأ
قال: وما هو؟ فقد ذهبت إلى مشهد وزرت ودعوت لك.
فقال له الشيخ:(لقد أوقفت القطار هناك من أجل أن تظهر قدرتك أرأيت كيف غرك الشيطان؟ ولا يحق لك أن تفعل ذلك).

الشرك وعبادة الشخصية

الحد الفاصل بين التوحيد والشرك دقيق جداً ولا يمكن أن تراه كل عين فقد جاء في الحديث عن رسول الله (ص)
(إن الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء).
فالأتقياء وأصحاب البصيرة هم القادرون فقط على رؤية الشرك الخفي والتحذير منه وعبادة الشخصية هي واحدة من أنواع الشرك الخفي الذي يقع فيه الكثير من الناس فالشخصية الربانية العظيمة المنزلة إذا لم يكن الاهتمام بها وإطاعتها لوجه الله فهو شرك وهذا ما جعل الشيخ يقول (إذا كنتم تأتون إلي من أجلي فهذا في ضرركم).

⅄ لا يكن أبوك صنماً لك.

نقل حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد علي الميلاني نجل الفقيه والمرجع الجليل المرحوم آية الله السيد محمد هادي الميلاني- رضوان الله تعالى عليه- لقاءً لسماحة الشيخ مع والده الكريم على النحو التالي:

لقد من الباري تعال على سماحة الشيخ رجب علي الخياط ببصيرة نافذة بسبب إعراض نفسه عن المحارم وعدم معصيته لله وقد نجح في تهذيب ثلة من أصدقائه على حب الله والإخلاص له.

كان شديد الحب لوالدي ونظراً لسابق معرفتي به فإنني كنت أزوره في بعض المرات وأحضر مجالسه التي كانت تبدأ عادة بتلاوة آيات من القرآن الكريم وذكر مجموعة الأحاديث الشريفة وأستفيد أحياناً من المواعظ التي كان يعدها للسالكين.

وفي إحدى السنوات قدم إلى مدينة مشهد لغرض الزيارة ونزل في فندق طوس الواقع في شارع (بست بالا). فدعاه والدي فدعاه في يوم من الأيام لتناول طعام الغداء في دارنا وكان حضور سماحة الشيخ في دارنا مدعاة للبهجة والسرور لدى والدي ... بقيا يتحدثان إلى قبيل الغرب التفت سماحة الشيخ إلى في ذلك المجلس وقال: (احذر لا يكن أبوك صنماُ لك).

وقال لأبي: (انتبه لكي لا يكون ولدك سبباً لإيجاد المتاعب والمصائب لك).

وفي أثناء حضور الشيخ خطرت في ذهني فكرة وهي هل من أن الممكن أن يحظى الإنسان بالدنيا والآخرة معاً؟

فالتفت إلى الشيخ قائلاً: (أكثر من قراءة الآية في الدعاء (رَبّنَا ءَاتِنَا فى الدّنْيَا حَسنَةً وَ فى الاَخِرَةِ حَسنَةً)

عدت برفقة الشيخ إلى الفندق ووجدنا أن الشاعر حيدر معجزة (صاحب ديوان الشعر) كان موجوداً في الفندق في انتظار سماحة الشيخ ودعاه إلى الغذاء في ظهر يوم غد. لم يوافق الشيخ في بداية الأمر على تلبية الدعوة إلا أنه أصر على تلبية الشيخ الدعوة فقبل منه ثم جاء حيدر معجزة إلى والدي ودعاه أيضاً إلى طعام الغذاء وذهبت أنا ووالدي إلى دار حيدر معجزة وجاء سماحة الشيخ رجب علي مع شخصين من رفاقه في السفر .

واستمرت الجلسة في ذلك اليوم إلى قريب المغرب.

⅄ سبل الوصول إلى حقيقة التوحيد

والسؤال الأساسي حالياً هو كيف يتسنى للمرء إنقاذ ذاته من ربقة الشرك وبلوغ

زلال التوحيد الخالص كتحطيم صنم النفس واجتثاث جذور الشرك الخفي والظاهر في وجودة؟
وجواب سماحة الشيخ عن هذا السؤال هو: (في رأي هذا العبد أن من يطلب طريق الخلاص والوصول إلى مرتبة الكمال الحقيقي واستلهام معاني التوحيد يجب عليه التمسك بأربعة أشياء هي:

أولاً: حضور القلب والتوجه الدائم.
ثانيا: التوسل بأهل البيت عليهم السلام.
ثالثاً: التوسل إلى الله في الليالي.
رابعاً: الإحسان إلى الناس.
وسيأتي شرح هذه الأمور من وجهة نظر الشيخ في الفصول

الفصل الرابع

⮘ إخلاص أولياء الله

من جملة المسائل الأساسية التي كان سماحة الشيخ يؤكد أهميتها كثيراً في تعليم وتربية تلاميذه هي مسألة الإخلاص وليس الإخلاص في العقيدة والعبادة فقط وإنما في جميع الأمور والأعمال.
كان يؤكد دائماً أن: (الدين الحق هو هذا الذي يقال فوق المنابر ولكنه ينقصه شيئان: أحدهما الإخلاص والآخر هو محبة الله فهذان العنصر يجب إضافتهما إلى مواد الخطب والكلمات).

⮘ كل الأعمال لله

من الكلمات القيمة والتربوية لسماحة الشيخ هو قوله:(كل شئ جميل وحسن إذا كان لله).
وكان أحياناً يشير إلى ماكنة خياطته ويقول: (انظروا إلى ماكنة الخياطة هذه كل واحدة من قطعها الصغيرة والكبيرة تحمل العلامة الخاصة بمصنعها ... يريدون أن يقولوا إن أصغر قطعة في هذه الماكنة يجب أن تحمل علامة مصنعناً والإنسان المؤمن أيضاً يجب أن تكون كل أعماله ذات صبغة إلهية).
ففي مدرسة الشيخ التربوية يجب على السالك أن يتأمل قبل الإتيان بأي عمل فإن لم يكن العمل مشروعاً فليتركه امتثالاً لنهي الله وإن كان مشروعاً وليس في

أدائه أثر للأهواء والميول النفسية فليؤده في سبيل الله وإن كان مشروعاً ولكن تشوبه أهواء نفسية فيجب عليه الاستغفار من ميوله النفسية أولاً ثم يؤدي العمل بعد ذلك في سبيل الله).

⮜ كل ونم لله

استناداً إلى وصية الرسول (ص) لأبي ذر رضي الله عنه.

(يا أباذر ليكن لك في كل شئ نية صالحة حتى النوم والأكل)، كان الشيخ يؤكد على لتلاميذه أنه:

(يجب أن تكون الأعمال كلها لله حتى الأكل والنوم).

ويضيف قائلاً (متى ما شربت فنجان الشاي هذا بقصد القربة إلى الله يتنور قلبك بنور الله ولكن إذا شربته من أجل نفسك فيكون كما أردت).

قال آية الله محمد رضا مهدوي كني: في بداية شروعي بدراسة العلوم الدينية أردت في أحد الأيام شراء ثوب جديد- لأعيد للمرحوم برهان الثوب الذي استعرته منه- فذهبت إلى رجل يدعى الشيخ رجب علي الخياط وكان عمري آنذاك حوالي أربع عشرة أو خمس عشرة سنة فأخذت له قماشاً وكان محل عمله في داره في غرفة قريبه من الباب جلست بعض الوقت فجاء وقال لي (حسناً ماذا تريد أن تصبح)؟

قلت: أريد أن أكون طالب علوم دينية.

قال: أتريد أن تكون طالب علوم دينية أم تريد أن تكون إنساناً)؟

تعجبت من كلامه فقلت في نفسي كيف يخاطبني هذا الرجل بمثل هذه اللهجة إلا أنه استدرك قائلاً:

(لا تستاء فدراسة العلوم الدينية أمر جيد ولكن يجب أن يكون هدفك أن تصبح شاباًَ ولم تتدنس بالمعاصي أن لا تنسى الهدف الإلهي كل عمل تؤديه يجب أن يكون لله وحتى إذا تناولت الـ(جلوكباب) تناوله بقصد تقوية بدنك على عبادة الله ولا تنس هذه النصيحة طوال عمرك).

⮜ خيّط لله

كان الشيخ يقول للإسكافي : (حينما تخيط حذاء أغرس الإبرة فيه في سبيل الله هذا أولاً ثم أتقن عملك وخيطه خياطة متينة بحيث لا يتمزق بسرعة).

وكان يقول للخياط: (أتقن مل غرزه إبرة واجعلها في سبيل الله).

⅄ تعال لله

وصف أحد تلاميذ الشيخ وصاياه في الإخلاص على النحو التالي كان الشيخ يقول (عندما تأتي إلى هنا –أي دار الشيخ- تعال في سبيل الله وإذا جئت من أجلي فأنت خسران).
كانت حالته عجيبة فهو كان يدعو الناس لله لا إلى نفسه.

⅄ انفخ في سبيل الله

يقول نجل الشيخ: كان الشيخ عبد الكريم حامد تلميذاً جيداً لوالدي وفي احد الأيام كان ينفخ المكواة-حيث كانت المكواة تسخن يومذاك بحرارة الفحم- فقال أبي: (يا عبد الكريم أتعرف كيف تنفخ في المكواة).
فقال: لا يا سيدي العزيز وكيف انفخ فيها؟
قال أبي: دور شفتيك كالزهرة وانفخ في سبيل الله).

⅄ أحبب لله

يقول أحد تلاميذ الشيخ قال لي الشيخ في مجلسي خاص: (فكرك مشغول بالمكان الفلاني وهذا أمر جيد ولكن يجب أن يكون لله).
وفي أحد الأيام كنت عنده وأنا وأحد أصدقائي فأشار إلى قلب صديقي وقال: (أرى هنا ابنين أو بنتين وهذا أمر جيد ولكن القلب مكان الله ويجب أتكون محبة الأولاد لله).
وكان يقول أيضاً (أعمال النساك كلها جيدة ولكن يجب عليهم فقط تبديل (أنا) بالله).

⅄ قبل لله

وصف آية الله الفهري وصايا الشيخ في الإخلاص على النحو التالي: كان محور كلامه هو (أن العمل يجب أن يكون لله وكان يكرر على الدوام في كلامه "اعملوا لله اعملوا لله" إلى أن أصبح العمل لله ملكة عند تلاميذه ومثله في ذلك مثل مروض الفيل الذي يضرب رأس الفيل على الدوام بالمطرقة فهو كان يضرب على فكر تلاميذه أن العمل يجب أن يكون لله.
كان يورد أمثلة عن نفسه وعن الآخرين في هذا المجال لتتولد حالة الملكة لدى المخاطبين وكان يؤكد للجميع في كل الأحوال: (أن العمل يجب أن يكون لله).
فهو كان يقول: (حينما تذهب مساءً إلى دارك وتريد تقبيل زوجتك قبلها لله**!**

وكان يقول أيضاً (يجب أن يكون الله ماثلاً في جميع زوايا حياة الإنسان) وقد جاءت مقامات ومكاشفات الأشخاص الذين تربوا في مدرسة الشيخ نتيجة للعمل بهذه الوصايا والتعليمات.

⮜ ماذا فعلت لله؟!

ينقل أحد أبناء الشيخ: كنت ذاهباً برفقة أبي إلى (بي بي شهر بانو) وفي الطريق صادفنا أحد المرتاضين فسأله أبي
(ما النتيجة التي حصلت عليها من
وراء رياضتك). انحنى المرتاض
وتناول حجراً من الأرض فتحول
الحجر بيده إلى كمثرى فقدمه إلى
أبي- قائلاً: تفضل كُل-!
فنظر إليه أبي وقال : (لقد فعلت هذا لي ولكن قل لي : ماذا فعلت لله)
ولما سمع المرتاض هذا الكلام بكى!

⮜ الويل لي! الويل لي!

نقل أحد تلاميذ الشيخ وكان قد رافقه مدة ثلاثين سنة أن الشيخ قال له : (رأيت روح أحد العلماء من ذوي المعنى-كان يسكن في إحدى المدن الكبيرة في إيران- في البرزخ وكان يتأسف ويضرب على فخذه ويقول: الويل لي! جئت وليس لدي عمل خالص لوجه الله)!
ولما سألته عن سبب تأسفه قال: صادفت في أيام حياتي رجلاً كاسباً من أهل المعنى وقد ذكر لي بعضاً من صفاته الباطنية وبعد ما فارقته عزمت على ممارسة الرياضة الروحية لكي تكون لدي رؤية برزخية كرؤيته ولأجل أن أحصل على المكاشفات والمشاهدات الغيبية- كما يمتلك- دأبت على ممارسة الرياضة مدة ثلاثين سنة إلى أن نجحت في بلوغ مقصدي وقد حان الآن أجلي وهم يقولون حالياً: لقد بقيت أسيراً لأهوائك النفسية إلى أن صادفك ذلك الرجل من أهل المعنى ونصحك وبعد ذلك أنفقت ما يناهز الثلاثين سنة من عمرك لبلوغ المكاشفات ورؤية الحالات البرزخية ولآن قل: ما هو العمل الخالص الذي قدمته لنا؟!

⮜ الإصلاح لله

ذكر أحد العلماء المعاصرين وهو من أساتذة الخلاق والعرفان قائلاً: سألت

سماحة الشيخ رجب علي عن نفسي وكيف يرآني؟
فقال: يا سيدي أيها الشيخ الحاج قلبك يميل إلى الصلاح ولكن من أجل ذاتك فعليك أن تسعى ليكون صلاحك الله.
انظر أيها القارئ العزيز كيف كان سماحة الشيخ يميز ببصيرته الإلهية الحدود الدقيقة بين التوحيد والشرك وينبه عليها ولا يوجد طريق آخر للوصول إلى الحقيقة وجنة اللقاء سوى هذا الطريق.

⮝ زر لله

نقل احد تلاميذ الشيخ قائلاً: في يوم من الأيام قلت للشيخ ما رأيك أن نذهب سوية لزيارة الإمام الرضا (ع)
فقال لي : المر ليس بيدي.
في البداية استغربت هذا الجواب: إذ كيف يقول إن أمره ليس بيده ولكن بعد برهة من الزمن فهمت أن العبد ليس له إرادة الحق وأعماله منوطة بإذن الله ورضاه وبعد مدة جرى الحديث عن الإخلاص وزيارة الإمام الرضا (ع) فقال :
(من يذهب لزيارة الإمام الرضا (ع) لوجه الله تعالى من غير أن يكون هناك غرض آخر فإن الإمام الرضا (ع) يستقبله.
ففي إحدى المرات التي زرت فيها الإمام الرضا (ع) ولم أضع نصب عيني إلا رضا الله حظيت بعناية منه صلوات الله عليه جعلني أهيم بحبه.
ولو كانت هذه المحبة عياناً توصف لو صفتها لك ولكن إذا أردت مشاهدة هذه المحبة عياناً عليك بتزكية نفسك لترى ما رأيته).

⮝ آثار الإخلاص

كان الشيخ يؤكد في كلامه أن (من كان لله كان الله له) وكان يقول : (كن لله ليكون الله وملائكته لك).
وكان يقول أحياناً (حتى إذا لم يوفق الإنسان إلى أداء العمل فإن الكلام عنه يترك تأثيراً إيجابياً في روح الشخص)

⮝ الهداية الإلهية

كان الشيخ يرى أن من البركات المهمة للإخلاص هو نيل الهداية الإلهية الخاصة وكان يستند في رأيه الآية الكريمة (وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَهُمْ سبُلَنَا) وكان يقول في بيان هذا المطلب:

(إذا قمت لله تصبح جميع عوالم الخلقة دليلاً لسبيك لأن كمالها منوط بالفناء فيك فهي تريد أن تقدم ما في قدرتها لكي تصل إلى كمالها الحقيقي وإذا قام الإنسان لله تصطف على طريقه كل عوالم الوجود لكي تقدم له كل ما لديها ولتكون دليلاً له إلى سواء السبيل).

كان الشيخ يرى ضرورة الاتصاف بأعلى مراتب الإخلاص من أجل الحصول على الهداية الإلهية الخاصة : بمعنى أن لا يكون للإنسان هدف آخر من وراء مساعيه إلا الله تعالى ويجب عليه أن لا يضع نصب عينيه حتى قضية كماله الذاتي فكان يقول في هذا المجال:

(مادام الإنسان يضع كماله الذاتي نصب عينيه فهو لا يصل إلى الحقيقة ولهذا يجب عليه استفراغ ما في وسعه للوصول إلى الله فحينئذ يستخلصه الله تعالى لنفسه).

⅄ رائحة الله في العمل

كان الشيخ يؤكد : (إنك عندما تعرف الله يجب أن تكون كل أفعالك صادرة عن إخلاص وحب وحتى كمالك الذاتي لا تأخذه بنظر الاعتبار فالنفس الإنسانية حاذقة ومعقدة ولا تترك صاحبها وشأنه وتريد إقحام ذاتها في كل أعماله بأي نحو كان.

ما دام الإنسان يجب ذاته ويهتم بها تبقى أعماله ذات صبغة نفسانية وليس فيها رائحة إلهية ولكنه إذا أبعد عنه الأنانية وصار طلباً لله تصبح أعماله إلهية وتنبعث منها رائحة الله. وهذا الرأي يوجد عليه دليل ورد في كلام الإمام السجاد (ع) حيث قال: (ما أطيب طعم حبك).

⅄ التغلب على الشيطان

من جملة البركات الناجمة عن العمل الخالص لله هو التغلب على الشيطان وكان سماحة الشيخ يقول في هذا الصدد:

(من قام لله تقوم نفسه مع خمسة
وسبعين جيشاُ إلى جانب الشيطان
وجنوده للقضاء عليه ولكن جند
الله (لهَُمُ الْغَلِبُونَ) فالعقل أيضاً
لديه خمسة وسبعون جيشاً لا تترك

اد ِـى

لَيْس لَك عَلَيهِمْ سلْطنٌ) فإذا لم يكن لديك رغبة إلى غير الله لا يمكن للنفس

والشيطان مجاراتك في القوة وإنما يندحران أمامك).
وكـان يقـول : (فـي كـل نفس يستنشـقه الإنسـان امتحـان فـانظر هل يبـدأ بـدوافع رحمانية أم تشوبه حوافز شيطانية)!

◄ انفتاح عين القلب

كـان الشـيخ يعتقـد أن الإنسـان مـا دام متجهـاً لغيـر الله ويطلـب مـا سـواه فهـو فـي الحقيقـة مشـرك وقلبـه مـدنس بصـدأ الشـرك وكـان يسـتدل بـالآيـة الكريمـة (إِنَّمَا الْمُشرِكُونَ نجَسٌ) وما دام غبار الشرك جاثيـاً علـى مـرآة القلـب لا يتسـنى للمـرء إدراك حقـائق الوجـود وانطلاقـاً مـن هـذه الرؤيـة كـان سـماحته يقـول:(مـا دام الإنسـان يصـبو إلـى غيـر الله يبقـى غريبـاً عـن حقـائق الوجـود ولا يفهـم بـاطن الخلقة).

وقد قال الشاعر حافظ الشيرازي في هذا المعنى
أنت حجاب الطريق يا حافظ فقم من وسطه
طوبى لمن سار في هذا الطريق بلا حجاب

أمـا إذا أخلـص أحـد لله تنفتـح عيـن قلبـه وإذا حرصـتم علـى صـيانة قلـوبكم ولـم تفسـحوا المجـال لأحـد يـدخلها سـوى الله تسـتطيعون عنـدئذ رؤيـة مـا لا يـراه الآخرون وسمع ما لا يسمعون).

◄ البركات المادية والمعنوية

يصـرح القـرآن الكـريم أن المرء حتى إذا كان من أهل الدنيا فليعلم أن طاعـة الله لا تنقـص شـيئاً مـن دنيـاه بـل إنهـا تعـود عليـه- فضـلا عـن الـدنيا- بـالحياة الطيبـة الخالـدة (مَن كـانَ يُرِيـدُ ثَـوَاب الـدّنْيَا فَعِنـدَ اللّهِ ثَـوَاب الـدّنْيَا وَ الآخِـرَةِ وَ كـانَ اللّهُ سمِيعَا بَصِيراً).
وبعبارة أخرى إن الله هو كل شئ ومن عنده الله عنده كل شئ.
يقول أحد محبي الشيخ سألني الشيخ مرة (ما عملك)؟
قلت: نجار
قال: (عندما تضرب المسمار بالمطرقة تطرق في ذكر الله أم في ذكر النقود؟!
إذا كنت في ذكر النقود يعطونك إياها وإذا كنت في ذكر الله تحصـل علـى النقـود وتحصل على قرب الله).

⮝ كنت أدرس لله

ينقل أحد تلاميذ الشيخ عنه أنه قال:
(شاركت جماهير غفيرة في تشييع جنازة آية الله العظمى السيد البروجردي (رحمة الله عليه) وكان تشييعاً فخماً ورأيت في عالم المعنى وكأنني سألته: كيف حظيتم بكل هذا التكريم؟ فقال: كنت أدرس طلبة العلو الدينية لله).

⮝ الله هو الذي أصلح لنا عملنا

نقل أحد محبي الشيخ أنه حدثهم ذات يوم قائلاً:
(استدعي ابني إلى الخدمة العسكرية وأردت الذهاب لمتابعة قضيته. وفي تلك الأثناء جاءني رجل وامرأة فطلبا مني أن أحل ما وقع بينهما من الاختلاف وتأخرت عن الذهاب وجاء ابني بعد الظهر وقال: لقد أصبت قبل الوصول إلى المعسكر بألم شديد في رأسي حتى تورم رأسي ولما فحصني الطبيب قرر إعفائي من الخدمة العسكرية وما إن خرجت من المعسكر حتى زال اللم والورم من رأسي وكأنهما لم يكن لهما أثرا)!
وأضاف الشيخ في ختام حديثه: (ذهبنا لقضاء عمل الناس فقضى الله لنا عملنا).

الفصل الخامس

⮝ ذكر أولياء الله

كان لسماحة الشيخ توجيه رئيسي في ما يخص ذكر الله وكان في مختلف المناسبات يكرره ويؤكده.
والمهم في هذا التوجيه الذي سنشرحه فيما يأتي- وإن كان مقتبساً من الأحاديث الإسلامية-هو التجربة الذاتية للشيخ بشأنه.
مبدئياً تكتسب أقوال واستنتاجات هذا الرجل الإلهي والعبد الصالح أهميتها من تجربة الباطنية

⮝ الحضور الدائم

كان الشيخ يحرص على تربية تلاميذه بالشكل الذي يجعلهم يستشعرون وحضور الله في كل حال وهذا في الحقيقة هو ما أشار إليه الحديث المهم والبناء المنقول عن رسول الله (ص) في قوله: (أذكروا الله ذكراً خاملاً: وما الذكر الخامل؟ قال: الذكر الخفي).

وجاء عنه أنه قال في حديث آخر :(يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه سبعين ضعفاً).
تكمن أهمية وأفضلية الذكر الخفي على الذكر العلني والجلي في دوره الفاعل والمصيري في بناء الإنسان أن الذكر اللساني سهل يسير. وأما الذكر القلبي- وخاصة ديمومته- فهو عسيراً وعلى هذا الأساس وصفه الإمام محمد الباقر(ع) بأنه من أصعب الأعمال:
(ثلاث من أشد ما عمل العباد: إنصاف المؤمن من نفسه ومواساة المرء أخاه وذكر الله على كل حال: وهو أن يذكر الله عز وجل عند المعصية يهم بها فيحول ذكر الله بينه وبين تلك المعصية وهو قول الله عزوجل : (إِنّ الّذِينَ اتّقَوْا إِذَا مَسهُمْ طئفٌ مِّنَ الشيْطنِ تَذَكرُوا فَإِذَا هُم مّبْصِرُونَ).
وورد في حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) وصف فيه الإنصاف والمواساة والذكر الدائم بأنها من أصعب الواجبات الإلهية وصرح بأن المراد من ذكر الله ليس هو الذكر اللساني وإن كان الذكر اللساني يعتبر هو الآخر ذكراً ذكراً لله قائلاً: (عن الحسن البزاز قال : قال لي الإمام الصادق (ع): (الأ أحدثك بأشد ما فرض الله عزوجل على خلقه؟... إنصاف الناس من نفسك مواساتك لأخيك وذكر الله في كل مواطن أما إني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وإن كان هذا من ذاك ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعته أو معصيته).

يبدوا من العسير جداً أن يرى المرء نفسه بين يدي الله في كل حال وإذا حصلت له مثل هذه الحالة لا يمكن أن يتغلب عليه هوى نفسه والشيطان ويرغمانه على معصية ربه.

⮘ سبيل التخلص من النفس الشيطان

كان سماحة الشيخ يقول: (لا سبيل للتخلص من شر النفس إلا بالتوجه إلى الله والحضور الدائم ومادمت ماثلاً بين يديه ودون انقطاع لا يمكن للنفس أن تخدعك وتغرك).
وكان سماحته يشير في كثير من الأوقات إلى الآية الكريمة (وَ مَن يَعْش عَن ذِكْرِ الرّحْمَنِ نُقَيِّض لَهُ شيْطناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ). ويقول :
(متى ما قطع الإنسان توجه إلى الله يستحوذ عليه نفسه والشيطان- اللذان يتربصان به- فيتصرفان بقلبه ويبدآن بتسييره كيف يشاءان).

⮝ كفي عني
ونقل عنه أحد تلاميذ أنه قال : (رأيت نفسي في عالم المعنى فقلت لها كفي عني فقالت ألا تعلم أنني لا أكف عنك حتى أوقعك في المهالك).
ولعل هذه المكاشفة هي التي جعلت الشيخ مولعاً بهذه الأبيات:

جمالك أرشدني في مدرسة الأزل
ولطف كرمك هداني إلى محبتك
فنفسي ميالة إلى كل باطل
وفيضك هو الذي أنقذني من قبضتها

الفيض الإلهي ينزل على القلب من خلال المداومة على ذكر الله وذكر الله حينما يدخل إلى القلب أول ما يزيل عنه الوساوس الشيطانية والأدران النفسية ويجعله مستعداً لاستقبال الفيض من الفياض المطلق.
يقول الإمام أمير المؤمنين (ع) في هذا المجال: (أضل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله).
ومن خلال شعور الإنسان بالحضور الدائم عند الباري تعالى يتحرر من قيود النفس الشيطان وهذا التحرر هو علاج له من كل الأمراض النفسية: حيث قال الإمام علي (ع) في هذا المعنى :
(ذكر الله مطردة الشيطان).
(ذكر الله دواء أعلال النفوس)
(يا من اسمه دواء وذكره شفاء).
المداومة على ذكر الله تفيض على القلب الحياة الإنسانية وتنيره وتقوي الروح وتجعل الذاكر مأنوساً بذكر الله وتفيض تدريجاً كيمياء المحبة على الإنسان.
قال الإمام علي (ع) ذاك العارف بالله والمطلع على أمراض النفس البشرية في هذا المجال: (من ذكر الله سبحانه أحيا الله قلبه ونور عقله ولبه).
(مداومة الذكر قوت الأرواح).
(الذكر مفتاح الأنس).
(من أكثر ذكر الله أحبه)
إن ما جاء في هذه الأحاديث يمثل جانباً قليلاً من انعكاسات ذكر الله التي تعود بالخير والبركة على حياة الإنسان وبناء ذاته ولكن يتضح من خلال التأمل في ما مر ذكره مدى أهمية اللحظة التي نقضيها في ذكر الله ومدى ضرر اللحظة التي تمر علينا بدون ذكره.

⮝ ذكر الله عند النوم!

يقول الدكتور ثباتي: دعانا أحد الأشخاص ذات يوم لتناول طعام الغداء وبعد الانتهاء أخذنا جمعياً قسطاً من الراحة فتمددت وغمضت عيني واستغرقت في ذكر الله وكان سماحة الشيخ في مقابلي ولما رآني على تلك الحالة أوصى سائر الأصدقاء قائلا: (حتى في النوم يجب أن تذكروا الله).

⮝ نداء من البرزخ!

يقول أحد أصدقاء الشيخ: كنت ذات يوم عبد الشيخ وسمعته يقول : (رأيت شاباً في البرزخ يقول : لا تعلمون ماذا هنا في البرزخ عندما تأتون إلى هنا ستعلمون أن كل نفس تنفستموه في غير ذكر الله فهو في ضركم).

⮝ خاصية بعض الأذكار

عندما نتحدث عن خاصية بعض الأذكار في مدرسة الشيخ يجب أن لا ننسى أن مدرسته مدرسة المحبة لا مدرسة النتيجة ولا يحصل فيها على النتيجة إلا الذي لا يطلب غير الله ولا يريد أن يحقق من وراءه السلوك حتى كماله الذاتي. وعلى هذا المبدأ يجب أن لا يكون الهدف من الذكر- مهما كان أثره- إلا الله تعالى.

⮝ الاهتمام بذكرين

يقول أحد محبي سماحة الشيخ: كان الشيخ يعبر أهمية كبيرة "الاستغفار" و"الصلاة على محمد وآل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام" وكان يرى أن هذين الذكرين بمثابة الجناحين لتحليق السالك.

وكان سماحته يقول في هذا المجال: (كل من يكثر في حياته من الصلاة على النبي وآله يقبل رسول الله (ص) شفتيه عند الاحتضار).

⮝ التغلب على الأهواء النفسية

1- المداومة على ذكر: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).
2- الإكثار من ذكر: (يا دائم يا قائم).
3- لقمع النفس المتمردة قل في الصباح والمساء ثلاث عشرة مرة أو مئة مرة : (اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان).
4- قل في كل ليلة مئة مرة: (يا زكي الطاهر من كل آفة بقدسه).

كان سماحة الشيخ يوصي بالإكثار من الذكر الأخير للتغلب على النفس ويقول: (أنا شخصياً كنت أكثر من هذا الذكر ودخلت عن ذلك الطريق وحتى إني ذات يوم دأبت على قراءته إلى أن ماتت نفسي وقلت : يجب على مواصلة قراءته أن يصبح وجودي عدماً وقد غفلت فترة- بسبب متقضيات طبع البشر- عن قراءته وإذا بي أجد نفسي حية فمن الواضح إذا أن كل من تكثر رغبته في الدنيا نفسه قوية وقراءة هذا الدعاء تفيد في التغلب على النفس).

⅄ التغلب على وسوسة الشيطان في النظر إلى امرأة أجنبية

نقل الدكتور فرزام: أن سماحة الشيخ رجب علي كان يعتبر ذكر: (يا خير حبيب و محبوب صل على محمد وآله) يفيد إذا وقع بصره على امرأة أجنبية وقد أوصاني مرات كثيرة بقراءته لأكون في مأمن من وسوسة الشيطان وكان يقول:

(حين يقع بصرك على أجنبية فإن لم تعجبك فأنت مريض وأما إذا أعجبتك فأغمض عينيك واخفض رأسك وقل : يا خير حبيب.... أي يا إلهي إنني أحبك أنت فما هي هذه الأشياء التافهة التي لا تستحق المحبة: لأن كل ما لا دوام له لا يستحق الحب).

⅄ من أجل محبة الله

تكرر الصلاة على محمد وآل محمد في كل ليلة ألف مرة لمدة أربعين ليلة من أجل غرس محبة الله في القلب.

⅄ من أجل صفاء الباطن

كان سماحة الشيخ يعتقد أن قراءة سورة (الصافات) في الصباح وسورة (الحشر) في المساء تفيد على صفاء الباطن. يقول أحد تلاميذه انه كان يوصيه بقراءة سورة الحشر في كل ليلة وكان يعتقد أن الاسم الأعظم موجود في الآيات الأخيرة من هذه السورة المباركة.

⅄ من أجل رؤية صاحب الزمان(ع) أرواحنا فداه.

من أجل رؤية الإمام صاحب الزمان (ع) تقرأ الآية الكريمة : (وَ قُل رّب أَدْخِلْنى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنى مخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَل لى مِن لّدُنك سلْطناً

نّصِيراً)

⮝ أربعين ليلة في كل ليلة مئة مره.

وينقل أن عدداً لا يستهان به من تلاميذ الشيخ خطو خطوة لرؤية صاحب الزمان (ع) من خلال المداومة على هذا الذكر وإن لم يعرفوه أثناء رؤيته ونشير إلى مثالين من ذلك

⮝ رؤية آية الله زيارتي لإمام الزمان(ع)

ينقل أحد تلاميذ الشيخ أن سماحة الشيخ علم المرحوم آية الله زيارتي- في منطقة مهدي شهر- والظاهر أنه الذكر المتقدم من أجل رؤية الإمام صاحب الزمان- عجل الله فرجه- وبعد أن واظب على قراءته رجع إلى الشيخ وقال له: لقد عملت بما علمتنيه ولكن لم أحصل على نتيجة فتأمل الشيخ لحظة ثم قال له: (عندما كنت تصلي في المسجد جاء رجل علوي وقال لك يكره التختم باليد اليسرى فقلت له كل مكروه جائز كان ذلك هو الإمام صاحب الزمان (ع)

⮝ رؤية البقال لإمام الزمان(ع)

تكفل بقالان بنفقة أسرة علوية وشرع أحدهما بقراءة الذكر الذي قدمه إليه الشيخ لرؤية الإمام صاحب الزمان (ع) وقبل حلول الليلة الأربعين جاءه أحد أبناء الأسرة العلوية وأرد منه صابونه فقال له: ‘ن أمك لا تعرف غيرنا فلان موجود أيضاً- وأشار إلى البقال الآخر- يمكنك أن تأخذ منه!

يقول هذا البقال: وبعدما نمت تلك الليلة سمعت صوتاً يناديني من ساحة الدار فخرجت ولكني لم أجد أحداً فرجعت ونمت وسمعت الصوت مرة أخرى يناديني باسمي وتكررت هذه الحالة الثلاثة مرات وفي المرة الثالثة فتحت باب الدار فرأيت علوياً ملثماً فقال لي: (نحن نستطيع أن ندير الشؤون المعاشية لأولادنا ولكن غايتنا هي أن تصلوا أنتم إلى مكانة رفيعة)

⮝ من أجل حل المشاكل وعلاج الأمراض

يقول الدكتور فرزام كان سماحة الشيخ يوصي بقراءة بعض الآيات وفقرات من الأدعية مقرونة بالصلوات من أجل حل المشاكل ومعالجة الأمراض مثل: (رب إني مغلوب فانتصر وأنت خير الناصرين).

وفي إحدى المرات كانت لدي مشكلة فأوصاني بقراءة هذا الذكر: (يا رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين).

وكان يقول (هذه الأذكار اقرأها مشفوعة بالصلاة على محمد وآل محمد).
وإذا مرض أطفالنا كان يقول : (قل يا من اسمه دواء وذكره شفاء صل على محمد وآل محمد).

⅄ من أجل إزالة الحراة والبرودة

يقول أحد تلاميذ الشيخ: سألت سماحة الشيخ عند أول سفر لي إلى مكة المكرمة ما الذي يجب عمله للتخلص من خطر شدة الحرارة؟ فعلمني قراءة الآية الشريفة للتخلص من خطر الحرارة والبرودة:
(سلَمٌ عَلى إِبْرَهِيمَ**كَذَلِك نجْزِى الْمُحْسِنِينَ) ، (قُلْنَا يَنَارُ كُونى بَرْداً وَ سلَماً عَلى إِبْرَهِيمَ).

الفصل السادس

⅄ دعاء أولياء الله

من جملة التوجيهات التربوية التي كان سماحة الشيخ يؤكدها هو تنظيم أوقات الخلوة مع الله وللدعاء والمناجاة وهو كان يعبر عنه بـ (الاستعطاء عند باب الله) ويؤكد قائلاً:
(أدع ربك ساعة في كل ليلة وحتى إذا لم يكن لديك رغبة في الدعاء لا تترك الخلوة مع الله).
وكان يقول أيضاً:
(في يقظة السحر والثلث الأخير من الليل آثار عجيبة فكل ما تطلبه من الله يمكنك الحصول عليه من خلال الدعاء في الأسحار لا تقصروا في الدعاء في الأسحار لأن كل ما هو موجود إنما هو موجود فيها والعاشق لا ينام ولا يطلب سوى وصال المحبوب ووقت اللقاء وبلوغ الوصال يكون أثناء السحر).
وهذا المعنى جاء في قول الشاعر:

كل كنز من السعادة حباه الله لحافظ
كان بفضل دعاء الليل وورد السحر

⅄ أدعية سماحة الشيخ

كان الشيخ كثيراً ما يقرأ دعاء يستشير ودعاء العديلة ودعاء التوسل ومناجاة

أمير المؤمنين (ع) في مسجد الكوفة التي تبدأ بـ (اللهم إني أسالك الأمان يوم لا ينفع مال ولا بنون) والمناجاة الخمس عشرة للإمام السجاد(ع) ويوصي تلاميذه بقراءتها.
وكان يؤكد أهمية قراءة (مناجاة المفتقرين) خاصة و (مناجاة المريدين) وكان يقول: (لكل واحد من هذه المناجاة الخمس عشرة فائدة خاصة).

⅄ اقرأ دعاء يستشير

نقل آية الله السيد أحمد الفهري الزنجاني أن سماحة الشيخ كان يقول :
(سألت الله قائلاً : إلهي كل شخص له لذة المناجاة مع محبوبه ونحن أيضاً نريد أن نتلذذ بهذه النعمة فماذا نفعل؟
فقيل لي في عالم المعنى : اقرأ دعاء يستشير.
ومن هنا فهو كان يقرأ دعاء يستشير بنشاط وتوجه خاص.

⅄ تحجج على الله تعالى!

كان سماحة الشيخ يرى أن الإنسان إذا طلب الله حقاً ولم يطلب غيره لابد وأنه تعالى سيأخذ بيده ويبلغه مناه وكان يضرب مثلاً طريفاً في هذا المعنى وهو :
(عندما يميل الطفل إلى المشاكسة لا يقر له قرار وحتى إذا قدموا له الألعاب والحلوى يرميها جانباً ولا يكف عن العناد ويبقى إلى أن يجلسه أبوه في حضنه ويداعبه ويسترضيه وعندها يكف عن عناده.
وهكذا أنت أيضاً إذا أعرضت عن زبرج الدنيا وزخرفها وتحججت على الله فهو تعالى سيأخذ بيدك في نهاية الأمر ويرفعك وعندها تستشعر اللذة.

⅄ قيمة البكاء والمناجاة

كان سماحة الشيخ يعتقد أن الإنسان يكون أهلاً لمناجاة الله تعالى حينما يتمكن من إخراج حب كل شئ من قلبه ما عدا حب الله أما من يكون إلهه هواه فلا يستطيع أن يقول (يا الله) من كل قلبه وكان يقول في هذا المعنى:
(إنما يكون للبكاء والمناجاة قيمة حقيقة عندما يخلو القلب من محبة غير الله).
وقد نقلت في هذا مكاشفة تربوية وقعت لسماحة الشيخ تثبت صحة هذا الادعاء

⅄ ريالان إجابة لـ (يا الله)

نقل آية الله الفهري عن سماحة الشيخ أنه قال:

(كنت أسير ذات يوم في السوق فلقيني شخص فقير وسألني أن أعطيه شيئاً فلما مددت يدي في جيبي لأخرج له بعض النقود لمست قطعة نقدية ريالين {دو ريالي} فتركتها وأخرجت (ده شاهي) وقدمته له. كان الوقت ظهراً فدخلت إلى أحد المساجد لأصلي وبعد الانتهاء من الصلاة رفعت يدي للدعاء قائلاً: (يا الله) وإذا بي أرى قطعة الريالين التي تركتها في جيبي قد عرضت أمامي).
تظهر لنا خلال هذه المكاشفة عدة نقاط جديرة بالتأمل وهي:

1. تجسد الهوى على صورة الإله كما صرح القرآن الكريم بهذا المعنى (أَفَرَءَيْت مَنِ اتخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ).
2. يبتعد الإنسان عن عبودية الله على قدر انقياده لهوى نفسه بل ويصبح عبداً لما يهوى ومن هنا تحول الإله في عالم المكاشفة إلى (ريالين)
3. تكون للإنفاق قيمة إذا أنفق الإنسان شيئاً يحبه والمؤمن يجب أن يقدم في سبيل محبوبه مما له قيمة لديه وليس مما لا أهمية له عنده: (لَن تَنَالُوا الْبِرّ حَتى تُنفِقُوا مِمّا تحِبّونَ)

⮙ سبيل الأنس بالله

كان سماحة الشيخ يرى أن سبيل الأنس بالله يتخلص في الإحسان إلى العباد. ومن أراد أن يتلذذ بالذكر والمناجاة مع الله تعالى يجب أن يسخر نفسه في خدمة العباد في سبيل مرضاة الله وكان يقول في هذا المجال:
(إذا أردت أن يكون لك عند الله حظ وافر من مناجاته والأنس به عليك بالإحسان إلى الناس وإذا أردت أن تصل إلى حقيقة التوحيد عليك بالإحسان إلى الناس وتعلم طريقة الإحسان إلى الناس من أهل البيت عليهم السلام (وَ يُطعِمُونَ الطعَامَ عَلى حُبِّهِ مِسكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً ** إِنمَا نُطعِمُكمْ لِوَجْهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنكمْ جَزَاءً وَ لا شكُوراً)
وكان يقول أيضاً (الشئ الذي يبعث في الإنسان الرغبة في عبودية الله بعد أداء الفرائض هو الإحسان إلى الناس).

⮙ ماذا نريد من الله؟

من الأمور المهمة في الدعاء هو أن يعرف الداعي ماذا يقول في الابتهال والتضرع إلى الله وماذا يطلب من ربه كان سماحة الشيخ يتمثل من خلال شرحه للأدعية بهذه المقاطع من الأدعية:
(يا غاية آمال العارفين) و (يا منتهى أمل الآملين) و (يا نعيمي وجنتي،ويا دنياي وآخرتي). وما شابه ذلك ويقول:

(يا رفاق تعملوا التوسل إليه فهو يقول من إمامكم انظروا كيف يتوسل الإمام إلى الله ويتضرع إليه فهو يقول : اللهم إنني إليك التجأت وبك لذت جئت لأكون بجانبك جئت لأعانقك فأنا أريدك).
وكان سماحته يقول في دعائه ومناجاته:
(اللهم اجعل هذا مقدمة للوصول إليك).

➢ ماذا يريد العاشق من معشوقه؟

بعد أن نقل الدكتور حميد فرزام المطلب أعلاه عن سماحة الشيخ قال: كان الشيخ يستعين أحياناً بأمثال بسيطة ولطيفة أحياناً من أجل إيضاح مطالب عرفانية رفيعة ويقول مثلاً.
(طرق عاشق باب معشوقته فسألته: أتريد خبزاً؟
قال: لا
قالت: أتريد ماء؟
قال:لا
قالت: فماذا تريد إذا؟
قال: أريدك أنت
أيها الرفاق المرء يجب أن يحب صاحب الدار ماءه ورزه وكما قال الشاعر سعدي الشيرازي

إذا كنت تنظر لإحسان حبيبك   فأنت متعلق بذاتك لا بالحبيب

كان يقرأ هذا الشعر لنا ويقول:
(يجب أن تطلبوا الله وحده وكل عمل تعملونه يجب أن يكون في سبيله كونوا عشاقاً له ولا يكن هدفكم الثواب في عبادتكم له).
وكان يقول لي أحياناً بصوت جميل: (اعمل كي تظفر بالزلفى هناك).
وكثيراً ما كان يستشهد بأشعار تناسب المقام وخاصة من أشعار حافظ الشيرازي وكان وقعها مؤثراً في نفوس السامعين نذكر منها البيت التالي على سبيل المثال:

إن أردت أن لا يقطع المعشوق وصالك
فتمسك بطرف حبله كي تحفظ

⅄ استغث بنداء من لا ناصر له!

كان سماحة الشيخ يقول:
(إذا وقفت للتضرع إلى الله في الليالي فاستغث بنداء من لا ناصر له وقل : إلهي لا قدرة على محاربة نفسي الأمارة وإنها قد اثاقلت إلى الأرض فأغثني وخلصني من شر نفسي الأمارة واجعل واسطتك أهل البيت عليهم السلام).
وكان يقرأ هذه الآية : (مَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةُ بِالسوءِ إلا مَا رَحِمَ رَبى)

⅄ فلسفة التوسل بأهل البيت عليهم السلام

كان سماحة الشيخ يقول:
(أغلب الناس لا يعرفون سبب التوسل بأهل البيت عليهم السلام ولذلك فهم يتوسلون بهم من اجل مشاكلهم المعاشية بينما يجب علينا أن نقصد منازل أهل البيت عليهم السلام في سبيل طي مراحل التوحيد ومعرفة الله فطريق التوحيد طريق وعر والإنسان غير قادر على السير فيه بلا مصباح ولا دليل).

⅄ زيارة عاشوراء

إحدى النقاط التي كان سماحة الشيخ يؤكد أهميتها في التوسل بأهل البيت عليهم السلام هي زيارة عاشوراء وكان يقول في هذا المعنى (أوصوني في عالم المعنى بقراءة زيارة عاشوراء).
وكان هو يوصي الآخرين (لا تتركوا زيارة عاشوراء ما دمتم أحياء).
وقد واصل أحد تلاميذ الشيخ قراءة زيارة عاشوراء أربعين سنة امتثالاً لهذه الوصية.

⅄ شروط استجابة الدعاء

أحد الشروط المهمة في استجابة الدعاء هو الطعام الحلال فقد جاء شخص إلى رسول الله (ص) : وسأله: ماذا أفعل حتى يكون دعائي مستجاباً؟ فقال له : (طهر مأكلك ولا تدخل بطنك حرام).

⅄ ادفعوا ثمن الملح

قال أحد محبي الشيخ ذهبنا ذات يوم جماعة برفقة سماحة الشيخ إلى جبل "بي بي شهربانو" لغرض الدعاء والمناجاة واشترينا خبزاً وخياراً وأخذنا مقداراً من

الملح من جانب بساط بائه الخيار وصعدنا الجبل ولما وصلنا إلى هناك إلى هناك قال الشيخ:
(قوموا لتنزل فقد أرجعونا وهم يقولون: ادفعوا ثمن الملح أولاً ثم تعالوا للمناجاة).

⮙ استعداد المتضرع

من جملة النقاط الدقيقة التي يجب أن يلتفت إليها المتضرع هو أن يكون هناك تناسب بين ما يطلبه من الله وبين ما لديه من استعداد نفسي فهو إذا لم يكن لديه الاستعداد النفسي اللازم قد يخلق لنفسه من خلال الدعاء مشكلة.

نقل أحد أصدقاء الشيخ قائلاً: مرت على أيام عسيرة جعلتني في حالة من الضجر والاستياء وفي أحد الأيام سألني الشيخ: ما سبب ضجرك؟ فحدثته بأمري.

فقال لي: (ألا تقرأ التعقيبات)؟

قلت: بلى

قال:(وماذا تقرأ)

قلت: أقرأ دعاء الصباح لأمير المؤمنين (ع)

قال:(أقرأ بدل دعاء الصباح سورة الحشر ودعاء العديلة في التعقيبات كي تحل مشكلتك)

فقلت له: ولماذا لا أقرأ دعاء الصباح؟

قال: (في هذا الدعاء فقرات ونقاط يجب أن يكون للمرء مقدرة واستعداد لتحملها: فأمير المؤمنين(ع) يطلب من ربه في هذا الدعاء اللهم هب لي ألماً لا أغفل معه عن ذكرك حتى تلك اللحظات.

ومعنى هذا أن دعاء الصباح يستلزم توفر الاستعداد الخاص به وأنت بمستواك هذا لم يكن لديك الاستعداد الكافي له ولهذا حدثت لك بعض المشاكل فلابد أن تقرأ بدل دعاء الصباح سورة الحشر ودعاء العديلة وستنحل مشاكلك بإذن الله).

بدأت بعد ذلك بقراءة سورة الحشر ودعاء العديلة وبعد مدة استقرضت من أحد الأصدقاء مبلغاً فأقرضني عشرة آلاف تومان فاستثمرتها بشراء دار وتحسنت أموري تدريجاً

⮙ أدب المتضرع

إحدى النقاط التي كان يوصي بها الشيخ تتعلق بالأدب الذي يجب أن يتحلى به المتضرع وقد نقل عن الدكتور حمدي فرزام في هذا الصدد أنه قال:

(يجب أن يكون المرء أثناء الدعاء خاضعاً خاشعاً يجلس جلسة العبد ومتوجهاً إلى القبلة).
وفي إحدى المرات كانت رجلي تؤلمني فأردت أن أتربع إلا أنه قال لي من ورائي حيث كان يجلس في آخر الغرفة ...
(اجلس جلسة صحيحة أثناء الدعاء اجث على ركبتيك والتزم بالأدب).

الفصل السابع

⮝ إحسان أولياء الله

خدمة الناس من المسائل التربوية التي أكدتها الأحاديث الشريفة غاية التأكيد فقد ورد عن رسول الله (ص) أنه قال:
(خير الناس من انتفع به الناس).

⮝ سر الخلقة

كان سماحة الشيخ يعير أهمية بالغة لهذا الأصل التربوي ونقل عنه أحد تلاميذ أنه قال:
(كنت أنس مع ربي فتوسلت إليه أن يطلعني على سر الخلقة فأفهموني أن سر الخلقة هو الإحسان إلى الناس).
(بتقوى الله أمرتم وللإحسان والطاعة خلقتم).
قال أحد أصدقاء الشيخ: قلت في أحد الأيام يا سيدي علمني شيئاً ينفعني شخصياً فلوى أذني وقال: (خدمة الناس خدمة الناس)!!
وكان سماحته يقول (إذا شئت الاهتداء إلى حقيقة التوحيد عليك بالإحسان إلى الناس فعبء التوحيد ثقيل وخطير ولم يقدر أحد حمله إلا الإحسان إلى الناس يجعل قادراً على حمله).
ومكان يقول في بعض الأحيان يقول مازحاً: (في النهار أحسن خلق الله وفي الليل اذهب إلى بابه للاستجداء).
قال المرحوم الفيض الكاشاني-رضوان الله عليه- في هذا المعنى:

اقض الليل باك عند باب الإله   وفي النهار كن عوناً لذوي الهموم والعناء

⮝ الإنفاق عند الإقتار

من الأمور المهمة التي أوصت بها الأحاديث الشريفة فيما يخص الإنفاق

والإحسان إلى الناس هو الإنفاق عند الإقتار قال رسول الله (ص) في هذا المضمار (ثلاثة من حقائق الإيمان: الإنفاق من الإقتار وإنصافك الناس من نفسك وبذل العلم للمتعلم).
وأشار حافظ الشيرازي إلى دور الإنفاق عند الإقتار في بناء الإنسان قائلاً :

عند الفقر أوسع في العيش والسكر
فكيمياء الوجود وهذه تجعل المتسول قارون

صم وتصدق

قال أحد أصحاب الإمام الكاظم (ع) شكوت إلى الإمام الكاظم (ع) قلة ذات يدي وقلت والله لقد عريت حتى بلغ من عريتي أن أبا فلان نزع ثوبين كانا عليه وكسانيهما!
فقال لي صم وتصدق.
قلت أتصدق مما وصلني به إخواني وإن كان قليلاً؟
قال (ع): (تصدق بما رزقك الله! ولو آثرت على نفسك).

الإحسان إلى معيل عاطل

قال أحد أصدقاء الشيخ كنت مدة عاطلاً عن العمل وأصابتني فاقة شديدة فقصدت دار الشيخ لعلي أجد سبيلاً لحل مشكلتي والتخلص من هذا العناء وما إن دخلت غرفته ووقع بصره علي حتى قال لي:
(أرى عليك حجاباً قلما رأيته لماذا فقدت توكلك على الله؟ لقد لبس عليك الشيطان غطاء لا يتيح لك إدراك ما في الأعلى).
ونتيجة لإرشادات الشيخ طرأ على تحول غيرني كثيراً فقال لي الشيخ:
(لقد زال عنك ذلك الحجاب ولكن عليك بالسعي لئلا يعود).
ثم قال :(يوجد شخص مريض عاطل ويعيل أسرتين إن استطعت فأذهب واشتر لأطفاله وعياله كمية من القماش واجلبها إلى هنا).
ومع أنني كنت عاطلاً عن العمل عاجزاً من الناحية المالية فقد ذهبت إلى دكان صديق قديم يبيع القماش واشتريت منه كمية من القماش ديناً وجئت بالقماش إلى الشيخ وما إن وضعت صرة القماش بين يديه حتى نظر إلى الأستاذ وقال:
(من المؤسف بصيرتك البرزخية غير مفتوحة لكي ترى الكعبة تطوف حولك وليس أنت الذي تطوف حولها).
وقال الدكتور ثباتي كانت إحدى إرشاداته المؤكدة هي الإحسان إلى الناس وكان

يعير أهمية فائقة للإحسان ويعتبر هذا العمل واحداً من الطرق القريبة والمؤثرة في السير إلى الله بحيث أنه إذا رأى أحد عاجزاً في الأحسان وأحسن جهد استطاعتك)

اخدم المحتاجين في العالم ما استطعت
بكلام أو درهم أو قلم أو قدم

وكان هو نفسه سباقاً في الإحسان إلى الناس وقد مر شخص بضائقة فقصدوا سماحة الشيخ فقال لهم:
(هذا الشخص يقدم العون لأقاربه من الخمس فقط ولا يقدم أي إحسان آخر)
أي: إن عطاء الخمس وحده لا يكفي.

⅄ الإحسان إلى الأخت

نقل أحد تلاميذ الشيخ قائلاً طلبت من الشيخ في أحد الأيام أن يتصل بروح والدي ويسأله إن كان بحاجة إلى خدمة أقدمها له فقال الشيخ:
(اقرأ سورة الفاتحة مرة واحدة).
وبعدما قرأت الفاتحة أخذ يصف لي فوراً معالم والدي الذي انتقل إلى رحمة الله قبل حوالي أربعين سنة ثم قال:
(لا أحتاج شيئاً ولكن قل لابني أن يحسن لأخته الصغيرة من حيث أثاث المنزل).

⅄ الشيخ وخدمة الناس

يتضح لنا من خلال مطالعة حياة الشيخ المباركة بكل مجالاتها نجد أن هذا الرجل الإلهي كان حقاً نموذجاً في خدمة الناس البائسين وحل مشاكلهم.
وقد وردت أمثلة كثيرة لخدماته بين طيات هذا الكتاب وخاصة في فصل الإيثار من الباب الأول ونأتي فيما يلي على ذكر أمثلة أخرى لاهتمامه بهذا الأمر:

⅄ حوالة الإمام صاحب الزمان (ع) لإمام الجماعة

قال أحد تلاميذ الشيخ كان المرحوم سهيلي- رضوان الله تعالى عليه- يقول: كان دكاني في تقاطع (عباسي) في طهران وفي أحد أيام الصيف الحارة جاء الشيخ إلى دكاني متعباً وأعطاني مبلغ من المال وقال :
(أوصل هذا المبلغ إلى السيد بهشتي فوراً ولا تتأخر)

وكان السيد هو إمام جماعة في مسجد الحاج أمجد في شارع آريانا فذهبت في الحال إلى داره وقدمت له ذلك المبلغ.
وقد سألت السيد فيما بعد عما جرى في ذلك اليوم فقال قدم علي في ذلك اليوم ضيوف ولم يكن عندي شئ في البيت أقدمه لهم فدخلت غرفة أخرى وتوسلت بصاحب الزمان-عجل الله فرجه- فوصلتني هذه الحوالة
وقال سماحة الشيخ (أمرني صاحب الزمان- صلوات الله عليه- قائلاً أرسل مالاً إلى السيد بهشتي بسرعة).

⅄ الوصية بالإطعام

بالإضافة إلى الجهود التي كان سماحة الشيخ يبذلها بشكل مباشر أو غير مباشر للإحسان إلى الناس وحل مشاكلهم فإنه كان يستقبل الناس في داره المتواضعة في المناسبات المختلفة وخاصة في الأعياد الدينية وكان يولي أهمية خاصة لأهل الإيمان من الإحسان وإطعام الطعام وكان يوصي على الدوام بالسعي لبسط مائدة الإطعام في الدار وكان يرى أن تقديم ثمن ذلك الطعام إلى المحتاجين ليشتروا به طعاماً لأنفسهم لا يحمل خاصية الإطعام نفسه.
قال الدكتور فرزام كان إطعام المساكين والفقراء من جملة الأمور التي يوصي بها الشيخ على الدوام وفي إحدى المرات قلت له ولماذا لا نقدم المال بدلاً من الطعام؟
فقال: (لا تقديم الطعام شئ آخر وأثره أكبر).
كان الجميع يعلمون أن سماحة الشيخ يقدم في النصف من شبعان وجبة طعام مكونة من الرز والدجاج وكان الخاص والعام يأتون ويجلسون على البسط المهللة المفروشة في داره ويتناولون من مائدة إحسانه وكان يحترم الضيف كثيراً ولا يتوانى عن إطعامه.
كان تأكيد الشيخ لأهمية إطعام أهل الإيمان وبسط مائدة الإحسان في الدار والتقيد بآداب الضيافة في وقت كان هو يعاني فيه من ضائقة مالية.

⅄ سيكفي إن شاء لله

في أحد المجالس حضر حشد غفير من الناس لتناول طعام الغذاء في دار الشيخ حتى امتلأت الدار بالضيوف ومع أنهم طبخوا 24 كيلو غراماً من الرز فقد خشي أهل الدار أن لا يكفي الطعام للحاضرين ولما اطلع الشيخ على سبب قلقهم قال للطباخ (وهو طالب علوم دينية قدم من قم).
(يا سيدنا يا أبا الحسين ما هذا الذي يقولونه؟ ارفع غطاء القدر لأرى).

وأخذ بيده كمية من الرز وقال : (سيكفي إن شاء الله).
وقد كفى الطعام في ذلك المجلس لجميع الحاضرين بل وحتى الذين وقفوا خارج البيت وقد اصطحبوا معهم ظروفهم فلم يرجع منهم أحد خالي اليدين.

⅄ البركة في خدمة الناس

للإحسان بركات جمة تعود بالخير على الإنسان في حياته المادية والمعنوية ومن أهم آثار الإحسان في رأي الشيخ هو نورانية القلب وزيادة الرغبة في الدعاء والمناجاة والأنس بالله وهذا ما يشير إليه سابقاً.
نلفت انتباهكم في ما يلي إلى بضع ذكريات مثيرة وتربوية من بركات خدمة الناس.

⅄ مقام حضرة عبد العظيم الحسني

قال أحد أصدقاء الشيخ ذهبنا برفقة الشيخ لزيارة ضريح السيد عبد العظيم الحسني (ع) وهناك سأل الشيخ السيد عبدالعظيم (كيف بلغت هذا المقام).؟
فقال السيد عبد العظيم: عن طريق الإحسان إلى الناس فأنا كنت استنسخ القرآن بيدي وأبيعه بمشقة وانفق ثمنه في الإحسان إلى الناس.

⅄ بركة خدمة سائق وسيارة الأجرة

قال أحد تلاميذ الشيخ في عام 1380هـ.ق أو عام 1381هـ.ق كنت أعمل في سيارة للأجرة وفي أحد الأيام دخلت في شارع (بوذرجمهري غربي).
ووجدت الناس واقفين في صف الانتظار ولا توجد هناك أي حافلة لنقل الركاب فتقدمت إلى امرأتان إحداهما طويلة والأخرى قصيرة وعرضتا على إيصال أحدهما إلى تقاطع (لشكر) والأخرى إلى شارع (آريانا) مقابل خمسة ريالات لكل واحدة منهما فوافقت على ذلك.
فنزلت المرأة الطويلة في المكان المقرر ودفعت أجرتها وتوجهت نحو شارع آريانا لأوصل المرأة القصيرة إلى مقصدها كانت تتكلم اللغة التركية ولا تعرف الفارسية وسمعتها تقول إلهي أنا تركية ولا أعرف اللغة الفارسية ولا أدري أين داري فأنا في كل يوم راكب الحافلة بثمين (ريالين) وأنزل أمام داري واليوم خرجت منذ الصباح وغسلت ثياباً وحصلت على تومانين وعلي أن أدفع الآن خمسة ريالات منها لأجرة السيارة.
فقلت لا تهتمي فأنا أيضاً تركي سأذهب إلى شارع آريانا وأوصلك إلى حيث تكون دارك ففرحت كثيراً.

وبعدما عثرت على العنوان وتوقفت أخرجت كيساً من صرتها واستخرجت منه تومانين لتعطيني إياها فقلت لها: لا أريد منك أجرة اذهبي في أمان الله فنزلت واستدرت عائداً إلى عملي.
وفي اليوم التالي أو بعده بيومين ذهبت برفقة أحد الأصدقاء إلى سماحة الشيخ فوجدناه جالساً في غرفته المتواضعة تلك وكان عنده عدة أشخاص آخرين وبعد التحية والسلام نظر إلى الشيخ وقرأ ما في قلبي وقال: (إنك تنتظر في ليالي الجمعة أنت موجود).
كان لدي برنامج في ما يتعلق بانتظار إمام الزمان-عجل الله تعالى فرجه- وكان مراده من جملة (أنت موجود) هو أنك ستكون موجوداً عند ظهور فرج قائم آل محمد-عجل الله تعالى فرجه- ونظراً لسابق الفضل والرحمة التي من الله بها على فقد أثار كلام الشيخ هذا مشاعر جياشة فينا فبكيت وبكى الشيخ وبكى الآخرون كثيراً.
ثم قال لي الشيخ: (أتعلم ما جاء بك إلى هنا؟ القصيرة القامة التي ركبت في سيارتك ولم تأخذه منها أجرة هي التي دعت لك وقد استجاب الباري تعالى دعاءها فيك وأرسلك إلي).

⮝ مساعدة الأعمى ونورانية القلب

ويقول هذا الرجل السائق أيضاً: كنت ذات أقوم سيارة الأجرة نفسها في شارع (سلسبيل) فرأيت رجلاً أعمى واقفاً في جانب الشارع في انتظار مساعدة أحد الناس له فترجلت من السيارة على الفور وسألته: إلى أين تريد الذهاب؟
قال: إلى الجهة الأخرى من الشارع
قلت: ومن ثم إلى أين؟
قال: لا أريد إزعاجك أكثر من ذلك
ولكنه بعدما رأى إصراري قال: أريد الذهاب إلى شارع (هاشمي) فأركبته في السيارة وأوصلته إلى مقصده.
وفي صباح اليوم التالي ذهبت إلى الشيخ فقال لي بلا أية مقدمة (ما مقدمة الرجل الأعمى الذي أركبته في سيارتك وأوصلته إلى داره؟
فشرحت له القصة فقال: (منذ أن عملت هذا العمل بالأمس جعل الله فيك نوراً سيبقى إلى وقت البرزخ).

⮝ إطعام أربعين شخصاً وشفاء مريض

قال أحد أصدقاء الشيخ : دهس ابني وأدخل على أثر ذلك إلى المستشفى فذهبت

إلى سماحة الشيخ وسألته ماذا أفعل؟ قال: (لا تغتم اشتر خروفاً واجمع أربعين عاملاً من عمال الميدان واطبخ لهم مرقاً واطلب خطيباً ليقرأ تعزية ليدعو له وعندما يقول الأربعون شخصاً "آمين" سيشفى ولدك وفي اليوم التالي سيأتي إلى البيت).
وعلمت أشخاصاً عديدين بهذه المسألة وحصلوا على مرادهم عن هذا الطريق.

⮜ مطر في الجفاف

نقل أحد أبناء الشيخ قائلاً: جاء عدد من فلاحي مدينة ساري إلى والدي وقالوا: لقد حصل جفاف في ساري ويبس كل شئ والناس يعيشون في ضيق وعناء فقال لهم: (اذبحوا بقرة وأطعموا الناس).
فأرسلوا برقية من طهران بذبح بقرة وإطعام ألف شخص وفي أثناء توزيع الطعام هطل مطر غزير إلى درجة أن المدعوين صعب عليهم الذهاب وهذا ما أدى إلى إيجاد علاقة بين أهالي تلك المنطقة مع سماحة الشيخ ودعي عدة مرات إلى مجالس أقيمت في ساري.

⮜ إطعام الأب من أجل طلب الابن

وقال الابن أيضاً كان هناك شخص لا يولد له أطفال وبالرغم من مراجعة الأطباء في الداخل والخارج ولم يحصل على نتيجة فجاء به أحد أصدقاء الشيخ إلى سماحته وحدثه بقضيته فقال الشيخ:
(سيرزقهما الله ذكرين ولكن عندما يولد لهما ولد عليهما أن يذبحا بقرة ويقدماها إلى عباد الله)
فسأله الرجل: ولماذا أذبح بقرة؟
قال الشيخ: (طلبت ذلك من الإمام الرضا (ع) ووافق على تلبية طلبي).
ولما ولد الطفل الأول عمل الأب بكلام الشيخ وذبح بقرة وأطعم الناس ولكن عند ولادة الطفل الثاني حال أقارب الأب بينه وبين ذبح البقرة وقالوا: وهل الشيخ رجب علي الخياط من أبناء الأئمة؟ أم إنه جاء بمعجزة؟ ومن هو حتى يقول سيحدث كذا كذا؟ وعندما أكد له الرجل الذي عرفه بالشيخ بأنه لا بد لك من فعل لك قال: هذه الأعمال خرافات.وبعد مدة توفي الطفل الثاني!

⮜ بركات إشباع حيوان جائع

نقل أحد أصدقاء الشيخ أن سماحة الشيخ حدثه ذات يوم قائلاً: (كان شخص عابراً في أحد أزقة طهران القديمة فرأى كلبة في ساقية وصغارها قد هجموا

على محالبها ولكنها كانت عاجزة عن إرضاعهم من فرط الجوع وكانت متألمة من تلك الحالة فأسرع الرجل إلى دكان يبيع الكباب في ذلك الزقاق واشترى عدة سفافيد كباب ووضعها أمام الكلبة ... وفي سحر تلك من الله تعالى على ذلك الشخص بشئ لا يقال).
وأضاف راوي هذه الحكاية ومع أن الشيخ لم يذكر اسم ذلك الشخص إلا أن القرائن تشير إلى أنه نفسه.
قال الدكتور فرزام: كانت نصيحة الشيخ لي عند مفارقة سماحته وحمينا كنت أقول له : هل من أمر؟ أو هل من وصية؟ أنه كان يقول: (لا تنس الإحسان إلى الخلق وحتى إلى الحيوانات).

⅄ الإحسان لوجه الله

المسألة الأساسية في خدمة الناس من وجهة نظر الشيخ هي دافع تلك الخدمة وكيفيتها فهو كان أننا يجب أن نكون في خدمة الناس بالشكل الذي كان عليه أئمتنا والأولياء الإلهيون الذين لم يكن لهم هدف من خدمة الناس إلا مرضاة الله وكانت خدمتهم للناس قربة لله وتأتي انطلاقاً من حبهم له وكان سماحته يقول في هذا المجال:
(الإحسان إلى الخلق يجب أن يكون لوجه الله (إِنمَا نُطعِمُكمْ لِوَجْهِ اللّهِ) كيف تدفع نفقات ولدك وتفديه بنفسك؟ وهل بإمكان الطفل أن يؤدي لأبيه وأمه عملاً؟ الوالدان يحبان طفلهما وينفقان عليه من أجله ذاتياً فلماذا لا تتعامل مع الله على هذا النحو؟! ولماذا تبقى تنتظر منه جزاء إحسانك إليه)؟!

⅄ كلام الإمام الخميني (قدس) في باب خدمة الناس

في ختام هذا الفصل رأينا من المناسب أن نأتي على ذكر شئ من توجيهات الإمام الخميني- رضوان الله تعلى عليه- في باب خدمة الناس فقد جاء في وصيته لولده الحاج أحمد رحمه الله ما يلي:
(ولدي، لا تتوان عن أداء مسؤوليتك الإنسانية في خدمة الحق تبارك وتعالى عن طريق خدمة الناس فإن صولات الشيطان وجولاته في هذا المجال لا تقل عن الصولات والجولات التي تحدث بين المسؤولين والذين يعلمون تحت أمرهم ولا تتشبث بيديك ورجليك لإحراز أي مقام مادياً كان أو معنوياً تحت ذريعة التقرب بالمعارف الإلهية أو الرغبة في خدمة عباد الله لأن الاهتمام بمثل هذه الأمور من الشيطان فما بالك بالسعي من أجل الحصول عليها عليك بالاستماع للموعظة الإلهية الوحيدة بقلبك وقبولها جهد المستطاع والسير في

ضـوئها وهـي قـوله تعالى(قُــلْ إِنَّمَـا أَعِظُكُـم بِوَحِـدَةٍ أَن تَقُومُـوا لِلَّهِـ مَثْنَــى وَ فُـرَدَى) المعيـار فـي السـير وفـق هـذه الآيـة هـو القيـام لله سـواء فـي الأعمـال الاجتماعية الخاصة أو العامة حاول أن يكون النجاح حليفك فـي الخطـوة الأولـى وذلك لأن هذا العمل في سن الشباب أسهل وأنجح واستغل شبابك فبـل أن تشـيب كأبيك ففي مثل هذه الحالـة إما تبقـى تـراوح فـي مكانـك وأمـا ترجـع إلـى الـوراء وهذا يحتاج إلى المراقبة والمحاسبة.

فلو ملك أحد الجن والإنس أو حصـل عليهمـا بـدافع إلهـي عـارف بـالله زاهـد فـي الدنيا وإذا كانت دوافعه شيطانية فكل مـا يحصـل عليـه يزيـده بعداً عـن الله حتـى وإن كان بقدر مسبحة).

الفصل الثامن

⮘ صلاة أولياء الله

إحدى خصائص البارزة لدي من تربوا في مدرسة الشيخ هي حضور القلب فـي الصلاة ولم يكن هذا إلا لأن الشيخ كان لا يأبه بالصلاة الخالية من الـروح وكـان يسعى لكي يكون أتباعه مصلين بمعنى الكلمة.

توجد ضمن توجيهات سماحة الشيخ بشأن الصلاة أربع نقاط أساسية مستقاة مـن النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة هي:

1- العشق:

كان سماحة الشيخ يعتقد مثلمـا أن العاشـق يلتـذ مـن الحـديث مـع معشـوقه كـذلك المصلي يجب أ يستشعر اللذة بالمناجاة مع ربه فهو نفسه كان علـى هـذه الشـاكلة وكذلك الحال بالنسبة لسائر الأولياء.

وصـف رسـول الله (ص) لـذته فـي الصـلاة علـى النحـو التـالي: (جعـل الله- جـل ثناؤه- قرة عينـي فـي الصـلاة وحبـب إلـي الصـلاة كمـا حبـب إلـى الجـائع الطعـام وإلى الظمآن الماء وأن الجائع إذا أكل شبع وأن الظمـآن إذا شـرب روى وأنـا لا أشبع من الصلاة).

قال أحد تلاميذ الشيخ- وكان قد رافقـه حـوالي ثلاثيـن سنـة- يشـهد الله أننـي كنـت أراه في الصلاة وكأنه عاشق يكلم معشوقه وهو ذائب فـي الصـلاة وضـع خـاص يسترعي الانتباه وهم: المرحوم الشيخ رجـب علـي الخيـاط وآيـة الله الكوهسـتاني والشيخ حبيب الكلبايكاني في مشهد فهـؤلاء الثلاثـة كـانوا أعجوبـة فحينمـا يقفـون للصلاة كنـت أشـاهد بالبصـيرة الإلهيـة أن الجـو أصـبح علـى نحـو آخـر وأنهـم لا يلتفتون في أثنـاء الصلاة إلى مـا سـوى الله.

1- الأدب:
التأدب بين يدي الله في أثناء الصلاة من الأمور التي يعيرها الإسلام أهمية كبرى فقد قال الإمام السجاد (ع) في هذا المضمار:
(وحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله عز وجل وأنك فيها قائم بين يدي الله عز وجل فإذا علمت ذلك مقام الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرع والمعظم لما كان يديه بالسكون والوقار وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدود وحقوقها).
وقال سماحة الشيخ عن أدب المثول بين يدي الله عز وجل: (الشيطان يراود الإنسان على الدوام يجب عليك أن تلتفت إلى عدم قطع التوجه إلى الله وكن في الصلاة مؤدباً ويجب أن تقف في حالة استعداد أمام شخصية كبيرة فلا تتحرك حتى وإن وخزوك بإبرة).
هذا الكلام قاله سماحة الشيخ لولده في جوابه عن سؤال طرحه على أبيه وهو لماذا تبتسم أحياناً أثناء الصلاة؟ وقال ابن الشيخ أظن أنه كان يتبجح على الشيطان ويقول له: لن تقوى علي!
كان الشيخ يعتقد أن أية حركة مخالفة للأدب بين يدي الله تعزى إلى وسوسة الشيطان وكان يقول في ذلك:
(رأيت الشيطان يقبل الموضع الذي يحكه المصلي أثناء صلاته)!

2- حضور القلب
باطن الصلاة هو ذكر الله وحضور قلب المصلي عن صدق بين يدي الحق تعالي ومن هنا فقد قال رسول الله (ص) (لا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه).
وانطلاقاً من هذا الحديث كان سماحته يسعى إلى تهيئة المصلين أن يصلوا بحضور القلب وكانت صلاته نموذجاً لحضور القلب.
قال الدكتور حميد فرزام في هذا المجال: كان يؤدي صلاته بطمأنينة وأدب وكنت أحياناً عندما أصل متأخراً وأرى أثناء الصلاة- عندما أمر من أمامه- أراه يرتجف كأنه سعفة تهزها الرياح وكان يعتلي وجه النور أثناء الصلاة فمشاعره وحواسه متركزة كلها على الصلاة وهو مهطع رأسه
واستنباطي من ذلك هو أن سماحة الشيخ لا يوجد في قلبه شك لو بمقدار رأس إبرة.
وقال واحد آخر من تلاميذه : كان يقول لي أحياناً: (يا فلان أتدري ما تقول في

الركوع والسجود)؟
وحينما تقول في التشهد: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له) هل تقول ذلك عن صدق؟
ألا توجد لديك أهواء نفسية؟! ألا تهتم بغير الله؟! ألا تعنى (ءَ أَرْبَابٌ مّتَفَرِّقُونَ).

3- المحافظة على الصلاة في أول الوقت
أكدت الأحاديث كثيراً أهمية أداء الصلاة في أول وقتها فقد قال الإمام الصادق (ع):
(فضل الوقت الأول على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا).
كان سماحة الشيخ ملتزماً بأداء الفروض الخمسة في أول وقتها وكان يوصي الآخرين بذلك أيضاً

⮘ خادم الإمام الحسين (ع) لم تتأخر صلاته حتى الآن

لدى الخطيب البارع حجة الإسلام والمسلمين سماحة السيد قاسم الشجاعي ذكرى لطيفة عن سماحة الشيخ في هذا المضمار فقد قال عنه كنت ارتقي المنبر الحسيني منذ أن كنت في المدرسة الابتدائية وبما أن الله تعالى من علي بصوت جميل فقد كنت أقرأ في الكثير من مجالس العزاء وكنت أذهب في اليوم السابع من كل شهر إلى دار سماحة الشيخ المرحوم رجب علي نكوكويان (الخياط) الواقع قبل (بازارجه) وبعد زقاق (سياهها).
وحينما كنت أصعد إلى الطابق الثاني حيث النساء يجتمعن في الغرفة الواقعة على اليسار وكنت أقرأ لهن مجلس العزاء في كل شهر كانت غرفة الشيخ تقع تحت تلك الغرفة في الطابق الأسفل وكان سني آنذاك ثلاث عشرة سنة حيث لم أصل إلى سن التكليف.
وفي أحد الأيام نزلت من بعد قراءة العزاء إلى الطابق الأسفل وواجهت سماحة الشيخ لأول مرة رأيت في يده مجموعة من الطاقيات وكان يريد الذهاب إلى السوق فسلمت عليه وألقى نظرة على وجهي وقال: (ابن الرسول(ص) وخادم الإمام الحسين (ع) لم تتأخر صلاته حتى الآن).
فقلت له: سمعاً وطاعة هذا وقد بقي ساعتان لحلول المغرب وكنت في ذلك اليوم ضيفاً ولم أصل حتى ذلك الوقت وما إن نظر الشيخ إلى وجهي حتى رأى تلك الحالة ونبهني إليها ذلك المطلب خلق عندي شعوراً وأنا لم أبلغ الحلم وبعده حينما كنت احضر في مجالسه- التي كانت تقام مثلاً في دار السيد حكيمي بائع الحديد- بأن هذا الرجل يتحدث عن إلهام، وذلك لأنه كان يفتقر للمعلومات

العلمية بينما كان كلامه يأخذ بمسامع الحاضرين بحيث إنني لازلت أحتفظ بذكريات وكلمات الشيخ ومن جملة الكلمات التي بقيت في بالي هي أنه كان يقول:
(أتركوا كلمة "نحن" فالمواطن التي تسود فيها كلمات "أنا" و"نحن" شرك هناك ضمير واحد حاكم وهو ضمير "هو" وإذا تجاوزتم هذا الضمير فالضمائر الأخرى كلها شرك).
حينما كان الشيخ يتفوه بهذه الكلمات كانت تأخذ مأخذها في قلب الإنسان وفكره.

⮝ الغضب آفة الصلاة

نقل عن سماحة الشيخ أنه قال:
(كنت في إحدى الليالي قبيل الغروب ماراً قرب مسجد في بداية شارع سيروس في طهران ولغرض إدراك فضيلة الصلاة في أول الوقت دخلت رواق المسجد فرأيت شخصاً يصلي وتحيط برأسه هالة من نور فقلت في نفسي إنني سآنس به بعد الصلاة لأرى ما لديه من الخصائص بحيث ظهرت لديه هذه الحالة.
وبعد انتهاء الصلاة خرجت برفقته من المسجد وعند الباب تشاجر مع خادم المسجد وصرخ بوجهه وواصل طريقه وبعد ذلك الغضب رأيت هالة النور قد زالت من فوق رأسه.

الفصل التاسع

⮝ حج أولياء الله

لم تتوفر للشيخ الاستطاعة المالية لأداء فريضة الحج أبداً فهو لم يذهب إلى زيارة بيت الله الحرام إلا أن توجيهاته لبعض الحجاج تظهر أنه كان على اطلاع دقيق بأسرار حج أولياء الله فهو كان يعتقد أن الحج الحقيقي والكامل يتحقق عندما يكون الحاج عاشقاً لصاحب البيت ليستطيع إدراك المقاصد الحقيقة لمناسك الحج ومن هنا فقد رد على اقتراح عرضه عليه احد الأشخاص بالذهاب إلى الحج سوية قائلاً: (اذهب وتعلم العشق ثم تعال لنذهب إلى مكة).

⮝ توجيهات الشيخ للحجاج

1. السعي لزيارة الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه

نقل احد المحبين القدماء لسماحة الشيخ قائلاً: قصدت سماحة الشيخ قبل أن

أسافر مكة المكرمة- وهو أول سفر لي- وطلبت منه بعض التوجيهات فقال:
(اقرأ ابتداء من أول يوم سفرك إلى مدة أربعين يوماً الآية الشريفة:
(وَ قُل رّب أَدْخِلْنى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنى مخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَل لى مِن لّدُنك سلْطناً نّصِيراً)
لعلك تستطيع رؤية صاحب الزمان- عجل الله تعالى فرجه- ثم أضاف: (كيف يمكن أن يدعى أحد لزيارة بيت ولا يرى صاحب البيت لينصب كل اهتمامك وتفكيرك على أنك ستزور إن شاء الله ذلك الوجود المبارك في إحدى مراحل الحج).

2. تحريم محبة غير الله في الإحرام
(الشخص الذي يحرم في الميقات يجب عليه أن يعلم أنه إنما جاء إلى هنا ليحرم على نفسه ما سوى الله وأنه قد قبل دعوة الله منذ اللحظة التي لبى فيها وحرم على نفسه كل ما سواه ومحبة غير الله محرمة عليه ويجب عليه أن لا يفكر بغير الله حتى آخر لحظة من حياته).

3. محورية البارئ عزوجل في الطواف
(الطواف حول الكعبة يبدو في ظاهرة أنه طواف حول البيت ولكن اعلم أن المراد من هذا الطواف اتخاذ الله محوراً للحياة والفناء فيه.
اشعر وكأنك تطوف حوله واجعل نفسك فداء له وافعل ما يجعل البيت في الحقيقة يطوف حولك.!

4. الدعاء تحت ميزاب الذهب
(قل في حجر إسماعيل وتحت ميزاب الذهب حيث يطلب الحجاج من الله حل مشاكلهم : اللهم ربني لعبادتك ولنصرة وليك الحجة ابن الحسن- عجل الله تعالى فرجه-).

5. قتل النفس الأمارة في منى
(عندما تذهب إلى منى ماذا تفعل عند المنحر؟ هل تعلم ما هي فلسفة النحر والتضحية؟ إنك في الواقع يجب أن تضحي بنفسك الأمارة: (فَتُوبُوا إِلى بَارِئكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسكُمْ) اذبح نفسك هناك وعد وحرر ذاتك من مخالبها يجب أن لا يكون نفسك عندما تعود أقوى مما كانت عليه من قبل).

⅄ الموضع الوحيد الذي حظيت فيه بالمحبة

وبعد رجوعي من الحج ذهبت إلى الشيخ وسألته: أود أن أعرف هل حصلت من حجي هذا نتيجة أم لا؟

(طأطئ رأسك واقرأ سورة الحمد مرة واحدة).

ثم إنه تأمل لحظة وأخذ يصف لي معال المسجد الحرام والموضع الذي كنت أقف فيه إلى أن قال: (الموضع الوحيد الذي حظيت فيه بالمحبة هو مقبرة البقيع التي كانت لك فيها مثل هذه المشاعر ودعوت بمثل هذه الأدعية).

لقد كان ما طلبته من الله مكشوفاً لدى الشيخ.

⅄ وليمة الحج

وعند عودتي من الحج دعوت الشيخ وجماعة آخرين لوليمة طعام أقمتها في داري بمناسبة عودتي من الحج وأعددنا مائدة خاصة تحتوي على "جلوكباب" لسماحة الشيخ وعدد آخر من خواص الأصدقاء في الطابق الأعلى- الشرفة- ولما عرف الشيخ ذلك ناداني وقال:

(لماذا هذا التفاخر؟ لا تتكبر! ولا تفرق بين الناس إن كان عملك هذا لله انظر للجميع بعين المساواة ولماذا تميز جماعة أخرى؟! أما بالنسبة لي فأنا اختلط مع الآخرين وأنت يجب أن لا يميز بين الناس).

⅄ أسرار الحج في كلام الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه)

ومما يسترعي الاهتمام في هذا المجال هو أن أقوال سماحة الشيخ التي بينها استناداً إلى فهمه لفلسفة الحج قريبة جداً مما قال الإمام الخميني- رضوان الله تعالى عليه- في بيان الأبعاد العرفانية للحج ولا بأس هنا بالإشارة إليها لتكميل هذا الفصل:

⅄ سر التلبية المكررة

(التلبيات المكررة تكون حقيقة من أولئك الذين سمعوا نداء الله بمسمع أرواحهم فأجابوا دعوته سبحانه باسمه الجامع المسألة هي مسألة الحضور بين يدي الله عز وجل ومشاهدة جمال المحبوب: وكأن الملبي قد أذاب ذاته فيكرر تلبية الدعوة(لبيك اللهم لبيك) ويتبع ذلك سلب الشرك بالمعنى المطلق وأهل الله يعلمون أن هذا السلب للشريك لا يقتصر على الألوهية وإن كان سلب الشريك بالمعنى المطلق وأهل الله يعلمون أن هذا السلب للشريك لا يقتصر على الألوهية وإن كان سلب الشريك في الألوهية يشمل في نظر أهل المعرفة جميع

المراتب حتى فناء العالم وتتضمن التلبية جميع الفقرات الاحتياطية والاستحبابية ففيها تخصيص الحمد بالله والنعمة به وتنفي عنه مرة أخرى الشريك "إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك" وهذه عند أهل المعرفة غاية التوحيد وتعنى أن كل حمد ونعمة في عالم الوجود إنما هو حمد الله ونعمته بلا شريك ويرتجى هذا الموضع والهدف الأعلى في كل موقف ومشعر وعمل وحركة وسكون وخلافه الشرك بالمعنى الأعم وهو ما ابتلينا به نحن الغافلون).

⅄ سر الطواف

(الطواف حول بيت الله يدل على أنك لا تطوف حول شئ آخر غير الله).
(وعند الطواف حول بيت الله الذي يعكس الحب للحق تعالى أفرغوا قلوبكم مما سواه ونزهوا أنفوسكم أن تخشى أحداً غيره وإلى جانب الحب لله تعالى تبرؤوا من الأصنام الكبيرة والصغيرة ومن الطواغيت وأتباعهم فالله تعالى وأولياؤه منهم وكل أحراز العالم منهم براء).

⅄ مبايعة الله

(وعند استلام الحجر السود بايعوا الله على أن تكونوا أعداء لأعدائه وأعداء رسوله والصالحين والأحرار وارفضوا طاعتهم وعبوديتهم أيا كانوا وأينما كانوا واقتلعوا الخوف والضعف من قلوبكم افإن كيد أعداء الله وعلى رأسهم الشيطان الأكبر "أمريكا" ضعيف مهما تفوقوا في وسائل القتل والدمار والإجرام).

⅄ السعي للحصول على المحبوب

(وفي السعي بين الصفا والمروة اسعوا بصدق وخلاص للحصول على
المحبوب فإن وجدتموه تتقطع
عندئذ جميع الأواصر الدنيوية
ويتلاشى كل شك وترديد ويزول كل
خوف ورجاء حيواني وتنقصم كل
القيود المادية فتتفتح عندئذ براعم
الحرية وتتحطم القيود التي كبل بها
الطواغيت عباد الله وأسروهم واستعبدوهم).

⅄ الشعور والعرفان في المشعر وعرفات

(واتجهوا إلى المشعر الحرام وعرفات بشعور وعرفان ولتطمئن قلوبكم في كل موقف بوعد الله وحكومة المستضعفين وتفكروا بآيات الله في صمت وسكنية وفكروا في إنقاذ المحرومين والمستضعفين من مخالب الاستكبار العالمي واطلبوا من الله تعالى انفتاح سبل النجاة في تلك المواقف الكريمة).

⅄ سر التضحية في منى

(ثم اذهبوا بعد ذلك إلى منى واطلبوا فيها الأماني الحقة المتمثلة في تقديم أعز ما عندكم فداء في سبيل المحبوب المطلق واعلموا أنكم لا تصلون إلى المحبوب المطلق ما لم تتخلوا عن كل ما تحبون وعلى رأس ذلك حب النفس وما يتبعه من حب الدنيا).

⅄ رمي الجمرات

(أنتم تذهبون في هذا السفر لرجم الشيطان فإن كنت من جنود الشيطان- أعاذكم الله- فأنتم ترجمون أنفسكم أيضاً فيجب أن تكونوا رحمانيين كي يكون رجمكم رجم جنود الرحم للشيطان).

الفصل العاشر

⅄ خوف أولياء الله

أول سؤال يتبادر إلى الأذهان بعد طرح مسألة محبة الله بصفتها كيمياء الحياة هو: إذا كان الله رحيماً ومحبوباً وبعد عشقه من المؤثرات في التكامل فلماذا كل هذا التأكيد في النصوص الإسلامية لأهمية خوف الله والخشية منه؟ ولماذا اعتبر القرآن أبرز صفات العلماء والخشية من الله؟ وهل تجتمع المحبة مع الخوف؟ والجواب على ذلك هو: نعم وسماحة الشيخ يضرب مثلاً طريفاً بشأن اجتماع الخوف والحب الذي يتضح لنا من خلال هذا الفصل ولكن يجب قبل ذلك معرفة ما هو المراد بالخوف من الله؟

⅄ معنى الخوف الله

النكتة الأولى في تفسير الخوف من الله هي أن الخوف من الله معناه الخوف من الذنوب والمعاصي قال الإمام علي (ع)

(لا تخف إلا ذنبك لا ترج إلا ربك).

لا تخف الله

نظر الإمام علي (ع) إلى رجل أثر الخوف عليه فقال له: ما بالك؟
فأجاب الرجل: إني أخاف الله
فقال له أمير المؤمنين (ع) (يا عبد الله خف ذنوبك وخف عدل الله عليك في مظالم عباده وأطعه في ما كلفك ولا تعصه في ما يصلحك ثم لا تخف الله بعد ذلك فإنه لا يظلم أحداً ولا يعذبه فوق استحقاقه أبداً)

خوف الفراق

وعلى هذا الأساس لا ينبغي لأحد أن يخاف من الله وإنما يجب أن نخاف من أنفسنا حتى لا نقع ضحية-نتيجة سوء أعمالنا- بيد أن خوف أولياء الله من جزاء العمل السيئ يختلف عن خوف غيرهم لأن الذين أخرجوا من قلوبهم محبة غير الله لا يطيعونه طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره وإنما يخشون نار الفراق لأن عذاب فراق الله عندهم أشد من عذاب النار ولهذا قال إمام أولياء الله أمير المؤمنين (ع) في المناجاة: (فلئن صيرتني للعقوبات مع أعدائك وجمعت بيني وبين أهل بلائك وفرقت بيني وبين أحبائك وأوليائك فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك).
قال سماحة الشيخ في تفسير الآية الكريمة: (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) ما يلي:
(ما هذا الخوف والطمع؟ إنه خوف من فراقه وطمع في وصاله والقرينة الدالة على هذا المعنى هي قول أمير المؤمنين (ع) في دعاء كميل:"فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك" وكذلك دعاء الإمام السجاد (ع) ووصلك مني نفسي وإليك شوقي...).
وقال الفقيه العارف الشهير المرحوم الملا أحمد النراقي في هذا المعنى ما يلي:

قال إمام الأولياء روحي فداه
في الدعاء: يا سيدي ويا مولاي
هبني صبرت على عذابك
فكيف أصبر على فراقك يا حبيبي
المربية تخوف الأطفال من النار
فتقول لا تلعب وإلا يا فلان
أكوي يدك ورجلك بالنار

وأكوي بها وجهك وظهرك
لكن الرجال الأقوياء يخوفون الناس
بألم الفراق بألف طريقة

⮙ الخوف من عدم رضا المحبوب

ومع أن أولياء الله يعلمون بما أمرهم الله إلا أنهم يخافون وخوفهم ناجم عن احتمال عدم الرضا والقبول لدى المحبوب:
(وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وّ قُلُوبهُمْ وَجِلَةٌ أَنهُمْ إِلى رَبهِمْ رَجِعُونَ).
وكما أن ألم الفراق شديد ولا يطاق عند أولياء الله كذلك يحظى رضا المحبوب الذي هو الكمال المطلق بتلك الدرجة من الأهمية وهذا الموضوع على درجة كبيرة من الأهمية بحيث جعل الإمام الخميني-رضوان الله تعالى عليه- يطلب من الناس في آخر لحظات حياته المباركة- كما صرح بذلك خطيب صلاة الجمعة في طهران- ليدعوا له الله عز وجل أن يقبله.
ولاحظوا بدقة كيف سماحة الشيخ هذه المسألة العرفانية الدقيقة بمثال بسيط وهو :
قال أحد تلاميذ الشيخ: قال لي سماحة الشيخ ذات يوم: (يا فلان لمن تزين العروس نفسها)؟
قلت: للعريس
قال: (أفهمت)؟
سكت
قال:
(في ليلة الزفاف يحاول أقارب العروس تزينها على أفضل ما يكون لتكون مقبولة عند العريس إلا أن العروس يعتريها قلق لا ينتبه إليه الآخرون وقلقها هو أنها إذا فشلت في ليلة الزفاف من نيل إعجاب العريس أو إذا نفر العريس منها ماذا تفعل؟
العبد الذي لا يدري هل قبلت أعماله عند الله أم لا كيف لا يخاف ولا يقلق؟!
فهل أنت تزين نفسك له؟ أم لذاتك؟ كي تكون لك وجاهة بين الناس)!
حينما يموت الإنسان يقول: (رَب ارْجِعُونِ ** لَعَلى أَعْمَلُ صلِحاً)
والعمل الصالح هو ما يرضاه الله لا الذي ترتضيه نفسك.
ولهذا السبب كان سماحة الشيخ على وجل دائم من لقاء الحق تعالى وكان يقول: الله نفسه لا خوف منه (وَ أَمّا مَنْ خَاف مَقَامَ رَبِّهِ) ولكن كيف بنا إذا لم يقبل الله عز وجل أعمالنا؟

قال نجل الشيخ كان الشيخ يقول (اللهم اجعلنا سقط المتاع يأتي المشتري ويقول اشتري ما هو عاطل واشتري سقط المتاع! اللهم فاشترنا واقبلنا أيضاً).

الباب الرابع : الوفاة

الفصل الأول

⟁ وفاة الشيخ رجب علي الخياط

وأخيراً ارتحل ذلك الوجود الملئ بالبركة من آفاق هذا العالم في 1381هـ.ق (المصادف للثاني والعشرين من شهريور عام 1340هـ.ش) بعد عمر قضاه في بناء ذاته وتهذيب النفوس وقصة عروج روحه النورانية إلى الملأ الأعلى حرية بالسماع أيضاً.

نستعرض في الفصل الأول من هذا الباب قصة وفاة سماحة الشيخ رجب علي الخياط ثم نشير في الفصلين الثاني والثالث إلى قصة وفاة شخصين آخرين من أولياء الله لشباهة قصة وفاتهما بقصة وفاة الشيخ.

⟁ يوم قبل وفاته

وصف ابن الشيخ حال والده قبل يوم من وفاته على النحو التالي: كان والدي قبل يوم من وفاته سالماً ولم تكن والدتي في البيت وكنت وحدي في البيت وعند العصر جاء أبي وتوضأ فناداني وقال لي:

(أشعر بنحول في جسدي إذا جاء هذا الشخص ليأخذ ثوبه فإن القصاصات موجودة في جيبه ويعطيك ثلاثين توماناً أجرة الخياطة ولم يكن أبي سابقاً يخبرني أن شخصاً إذا جاء كم تكون أجرة العمل ولم أعرف لماذا.

⟁ رؤيا أحد تلاميذ الشيخ

تنبأ أحد تلاميذ الشيخ بوفاة الشيخ في رؤيا صادقة شاهدها في الليلة الي سبقت وفاته وهي على النحو التالي:

رأيت في عالم الرؤيا في الليلة التي توفي الشيخ في غدها وكان أبواب الدكاكين الواقعة في الجانب الغربي لمسجد قزوين تغلق فسألت: ما الخبر؟ فقيل لي رحل الشيخ رجب على الخياط من الدنيا فاستيقظت من النوم فزعاً وكانت الساعة الثالثة من منتصف الليل فعلمت أن ما رأيته في المنام رؤيا صادقة وبعد أذان

الصبح صليت وتوجهت إلى دار السيد (راد منش) على وجه السرعة فسألني باستغراب عن سبب مجيئي في هذا الوقت المبكر فحدثته برؤياي.
كانت الساعة الخامسة صباحاً وكان الجو لا يزال معتماً فتوجهنا إلى دار الشيخ وفتح الشيخ الباب فدخلنا وجلسنا وجلس الشيخ أيضاً وقال: (أين كنتم في هذا الصباح الباكر).
لم أحدثه برؤياي فاضطجع الشيخ على جانبه ووضع يده تحت رأسه وقال : (تكلموا ...اقرؤوا شعراً..!

فقرأ أحدنا:

لا يوم أجمل من أيام العشق
فصباح العشاق لا ليل له
الأوقات الجميلة ما قضي مع الحبيب
والباقي كله عبث لا طائل فيه

⮙ الشيخ على فراش الوفاة

لم تمض إلا ساعة حتى رأيت حالة الشيخ قد تغيرت فاستأذنت منه لآتيه بطبيب كنت موقناً بأنه سيرحل عن الدنيا في هذا اليوم فقال لي: (الأمر لك).
كتب الدكتور ... وصفة فذهبت وجئت بالدواء وعندما رجعت وجدتهم قد نقلوا الشيخ إلى غرفة أخرى وكان جالساً باتجاه القبلة وعلى رجليه ملاءة بيضاء كان يلمسها بالسبابة والإبهام. أخذت أدقق النظر لأرى كيف يفارق الرجل الإلهي الدنيا وفجأة حصلت له حالة وكأن أحداً يهمس في أذنه فقال : (إن شاء الله).
ثم قال: (أي يوم من أيام الأسبوع اليوم؟ هاتوا لي دعاء اليوم).
قرأت دعاء ذلك اليوم فقال الشيخ: (ناوله للسيد أحمد ليقرأه أيضاً).
فقرأ ثم قال الشيخ (ارفعوا أيديكم إلى السماء وقولوا: يا كريم العفو يا عظيم العفو اللهم أعف عنى).
نظرت إلى صديقي وكأن رؤياي صادقة وأنه على وشك الرحيل فذهبت.

⮙ مرحباً يا سيدي العزيز

اسمعوا تكملة هذه القصة من لسان نجل الشيخ ... رأيت غرفة والدي مزدحمة فقالوا: إن حالة الشيخ قد اضطربت فدخلت إلى الغرفة مباشرة ورأيت والدي جالساً باتجاه- بعد أن كان قد توضأ قبل لحظات ودخل الغرفة- وفجأة نهض

وجلس وقال مبتسماً (مرحبا يا سيدي العزيز).
ومد يده وقضى نحبه والبسمة على شفتيه!

⮝ الليلة الأولى في القبر

قال شخص آخر من أصدقائه: رأيت في عالم الرؤيا وكأنني ذهبت إلى الشيخ في ليلة القبر الأولى ورأيته في منزلة عظيمة من بها عليه أمير المؤمنين (ع) فدنوت منه ولما رآني ألقى علي نظرة لطيفة- وكأنه أب يعظ ولده وهو لا يلتفت إليه- وتذكرت من خلال نظراته أنه كان يقول على الدوام:
(لا تطلبوا غير الله ولكننا نبقى مبكلين في أغلال أهوائنا النفسية).
اقتربت منه فقال جملتين:
الأولى: (نهج الحياة هو الأنس بالله وبأولياء الله).
الثانية: (لقد خلد من آثرت زوجته بثوبها في ليلة الزفاف في سبيل الله).

والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

الفصل الثاني

⮝ وفاة آية الله حجت

كما سبقت الإشارة في بداية هذا الباب رأيت من المناسب في ختام هذا الكتاب التربوي أن أتناول قصة وفاة شخصين آخرين من أولياء الله للشبه الكبير الذي بين وفاتهما ووفاة الشيخ وللفوائد التربوية التي تحتوي عليها وفاتهما.
وإحدى هاتين الشخصيتين الكبيرتين هو سماحة آية الله حجت – رضوان الله تعالى عليه- الذي كان مرجع تقليد الشيخ وكان الشيخ يثني عليه بالإخلاص ويرى قلبه خالياً من حب الجاه والرئاسة. نستمع فيما يلي إلى قصة وفاة هذا الرجل الجليل من لسان صهره النبيل سماحة آية الله الحاج الشيخ مرتضى الحائري- رضوان الله تعالى عليه- الذي هو أستاذ له في عهدتي حق التعليم.

⮝ ترميم الدار

أشير ابتداء إلى أن المرحوم حجت مع أنه كان أستاذي وحماي إلا أنني لم أكن أتردد كثيراً على داره ولا أتدخل في شؤون مرجعيته وكان هو في عهد السيد البروجردي- رحمه الله تعالى- مرجعاً وكان أكثر مقلديه من منطقة آذربايجان

وفي طهران أيضاً كان يرجع إليه الآذربايجانيون وغيرهم وكان بدوره يقدم لطبلة العلوم الدينية مرتبات شهرية وكانت يده مبسوطة إلى حد ما في وسعه المالي. وتبرع أحد محبي الشيخ بإعادة بناء منزل الشيخ ولا أتذكر اسم المتبرع على وجه الدقة ولعل اسمه (جانجي) وفي أوائل فصل الشتاء بدؤوا بترميم المنزل فأزاحوا التراب من القسم الذي تقرر إعادة بنائه وفي القسم الآخر كان العمال يواصلون العمل في الترميم كحفر البالوعة ورصفها بالحجر وما شابه ذلك من الأعمال.

⅄ تقرر أن أموت

ذهبت في صباح أحد الأيام لزيارته ووجدته في داخل الدار جالساً على سرير ولم تكن حالته الصحية بالشكل الطبيعي فهو كان مصاباً بالتهاب مزمن في الرئة وهذا ما كان يسبب له ضيقاً شديداً في التنفس في الأجواء الباردة. عندما بدأ الجو يميل إلى البرد آنذاك لم تكن حالته سيئة أكثر من المتعارف كما يبدو وعلمت أنه صرف العمال والبنائين وحينما سألته لماذا صرفتهم؟ قال بلسان صريح وقاطع (لقد تقرر أم أموت فلم البناء بعدئذ).

فلم أقل شيئاً ولا أتذكر أني استغربت ذلك الجواب كثيراً ثم قال لي: (ياعزيزي! في هذه الأيام القلائل تعال إلى هنا).

وكان مراده أن لا أبتعد عنه كما كنت عليه في السابق.

⅄ إلهي أديت ما علي من التكاليف

كنت أذهب إليه صباح كل يوم بعد الانتهاء من درس المكاسب الذي كنت ألقيه في صالة (البراني) وكنت أذهب إليه أيضاً في أول الليل أحياناً وفي أحد الأيام- وكان يوم أربعاء على ما أظن أرسل خلفي لعمل له خاص معي فعندما جئته أخرج صندوقاً حديدياً- ولا أدري إن كان هو الصندوق الذي كان لوالده وانتقل إليه أم هو صندوق آخر- وكان يجلس أمامه الحاج أحمد زنجاني فأخرج من الصندوق أوراقاً ومستندات أملاك وغيرها وأعطاها للسيد الزنجاني أعطاني ما كان فيه من أموال لإنفاقها في موارد عينها لي وجعل قسماً من ذلك المبلغ كحصة لي.

كان قد كتب وصيته سابقاً بعدة نسخ وأرسل لي إحدى تلك النسخ ولازالت موجودة عندي وكانت لديه أموال أخرى في النجف وفي تبريز وفي قم وعند المرحوم الحاج محمد حسين اليزدي الذي كان أحد أوصياء المرحوم الوالد- رحمه الله تعالى- وأوصى بأن الأموال الموجودة لدى وكلائه تحتسب كلها سهماً

للإمـام أمـا الأرض الـتي بنـي عليهـا فيمـا بعـد قسـم كـبير مـن مسـجد السـيد البروجردي فكان قد اشتراها لبناء مدرسة وكانت باسمه وقد كتب فـي الوصـية أنها أيضاً من سهم الإمام ولا تورث وإذا أرادها السيد البروجردي لبنـاء مسجد تعطى له.
علـى الظـاهر كـان المبلـغ الموجود فـي الصـندوق هو كل المـال الـذي لـديه وقد امتنع منذ عدة أيام عن استلام الأموال التي كانت تقدم لـه كحقوق شرعية ولكن يبدو أن السيد الزنجاني كان يستلم الحقوق الشعرية في تلك الفترة ودفع فـي أول الشهر الذي توفي فيه رواتب الشـهرية الـتي كـان يخرجهـا آيـة الله حجت وبقيت هنـاك فـي جيبـه بضـعة ريـالات أخرجتهـا ابنتـه- زوجتـي- مـن جيبـه ووضـعتها تحت الوسادة كي تدفعها كصدقة عندما يشفى-وهذا العمل كـانت تقـوم بـه النسـاء في القديم- وكنت أنا على معرفة بهذه العادة.
ويبدو أن الصدقة التـي كـانت تـدفع تحتجـز كـالرهن ولـم يبـق النقـود إلا تلـك ولـم يكـن هـو علـى معرفـة بوجودهـا وحينمـا سلمني المبلـغ الـذي كـان فـي الصـندوق لإيصاله إلى موارده رفع يديه إلى السماء وقال:
(إلهي! أديت ما علي من التكاليف، فكن لي عوناً حين وفاتي).

⅄ أموت ظهراً

كنت أتكلم معه بصراحة وأقوله يا سيدي لا مبـرر لكـل هـذا الخـوف فهـذه الحالـة المرضـية تعتريـك فـي فصـل الشـتاء كـل عـام ثـم تشـفى بعـد ذلـك فقـال: (كلا إن موتـي يكون ظهراً)،
لم أتحدث معه بشئ وذهبت فوراً لأنفذ مـا أمرنـي بـه وكنـت أخشـى أنـه إذا مـات في ظهر هذا اليوم سيبقى مصير هذا المال مجهولاً فهل يجب إعطاؤه للورثـة أم يجب إيصاله إلى موارده ولهذا السبب استأجرت عربة وأديت ما أمرنـي بـه ولـم يتوف في ظهر ذلك اليوم

⅄ التفاؤل بالقرآن

وفي أحدي الليـالي طلب مصحفاً وفتحـه بتأمل وذكر فظهرت لـه فـي الصـفحة الأولـى الآية الشريفة (لَهُ دَعْوَةُ الحْ َقِّ) فبكـى وتـوجه إلـى ربـه بكلام لا أتـذكره وفي تلك الليلة أو الليلة التالية كسر ختمه.

⅄ تفضل يا سيدي علي

وفي أحد تلك الأيام التي قاربت فيها وفاته نظر إلى البـاب فجأة وبـدا وكـأنه شـيئاً

معينا وقال: (تفضل يا سيد علي).
وبعد فترة قصيرة عاد إلى حالته الطبيعية وكان في الأيام الثلاثة الأخيرة يكثر من الذكر والدعاء والتضرع وقرى له دعاء العديلة من قبلي أو شخص آخر- لا أتذكر على وجه الدقة- وفي يوم وفاته ألقيت درس المكاسب باطمئنان في الدار لأن حالته كانت اعتيادية ولا تدعو إلى القلق ثم ذهبت إلى الغرفة الصغيرة التي كان راقداً فيها وكانت هناك ابنته-زوجتي- فقط وكان وجهة صوب الجار وهو مشغول بالذكر والدعاء فقالت لي زوجتي: إن والدي اليوم مضطرب شيئاً ما ويبدو أن سبب اضطرابه هو كثرة الذكر والدعاء.
سلمت عليه فرد علي السلام وقال: (أي أيام الأسبوع اليوم)؟
قلت: اليوم هو يوم السبت
قال:(وهل ذهب السيد البروجردي إلى الدرس)؟
قلت نعم
فكرر القول عدة مرات من صميم قلبه: (الحمد لله).
وتكلم أيضاً بكلمات أخر لم نذكرها مراعاة للاختصار.

تربة الإمام الحسين (ع)

قالت ابنته: إن والدي مضطرب اليوم إلى حد ما فما رأيك لو نعطيه مقداراً من تربة الإمام الحسين (ع) قلت حسناً فذهبت وحلت مقداراً من تربة الإمام الحسن عليه السلام في كأس فتناولته منها وقدمتها له وقلت تفضل اشرب فظن أنه طعام أو دواء فقال متذمراً (ما هذا)؟
قلت له: هذه تربة الإمام الحسين عليه السلام
فانشرحت أساريره فوراً وتناول القدح وشرب ماء التربة عن آخره
ثم سمعته يقول: (آخر زادي من الدنيا تربة الحسين عليه السلام).
أو ربما قال كلمة التربة فقط أغلب الظن أنه قال تربة الحسين ثم إنه اضطجع مرة أخرى وعاد إلى حالته الأولى من الدعاء والذكر وبقيت في المنزل وطلب من الحاضرين أن يقرؤوا له دعاء العديلة مرة ثانية حيث جلس ابنه الثاني وهو السيد حسن متوجهاً نحو القبلة وكان هو أيضاً يقرأ من حالة الجلوس وقد أسند صدره إلى متكأ وكان يذكر معتقداته بحماس ومن صميم قلبه أمام الباري تعالى باللغة الفارسية واللغة التركية.
كيمين فصلي وار؟
لا زلت أتذكر أنه قال بشأن أمير المؤمنين (ع) بعد الإقرار بالخلافة:
(بلا فصل هيج فصلي يوخدي لاب بلا فصلي لاب بلا فصلي كيمين فصلي

وار) { باللغة التركية } و معناه (بلا واسطة لم تكن هناك واسطة طبعا لم تكن هناك واسطة طبعاً لم تكن هناك واسطة من يكون الواسطة)
وكان يقرأ بشأن الأئمة من ولد الرسول (ص) وعلي (ع) الآية الشريفة (ضرَبَ اللّهُ مَثَلاً كلِمَةً طيِّبَةً كَشجَرَةٍ طيِّبَةٍ أَصلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فى السمَاءِ).
وكنت أقف جانباً أنظر إلى هذا المشهد المعنوي المثير بكل إعجاب وفي تلك اللحظة خطر ببالي أن أقول له: يا سيدي ادع لنا ولكن الخجل منعني لأسباب:

أولاً: لأن الرجل كان مشغولاً بنفسه ولا يلتفت إلى شئ آخر أي أنه كان يرى نفسه وحيداً أمام الله تعالى وأداء الواجبات المعنوية قبل الوفاة.
ثانياً: لأن هذا الطلب يوحي بأننا أصبحنا على بينة من وفاته وسلمنا لذلك.

بقيت أنظر إلى هذا الموقف وإلى الحاضرين في الغرفة وهم السيد حسن وابنته وربما زوجته وسمعته يقول:
(إلهي كل معتقداتي قد أحضرتها وقد أودعتها عندك فأعدها إلي).
كنت واقفاً في مكاني وهو على تلك الحالة من الجلوس والاتكاء متوجهاً نحو القبلة وفي تلك الحالة انقطع نفسه فظنوا أن قلبه قد تشنج فقطروا في فمه عدة قطرات من مادة الكرامين ورأيت الدواء سال من شدقيه فقد توفي في تلك اللحظة
ولم يصل بعد ماء التربة ولا حتى عدة قطرات من الكرامين إلى جهازه الهضمي.
فعلمت أن قد توفي فجئت إلى غرفة الاستقبال وإذا بي أسمع صوت الأذان من المدرسة الحجتية وكذا وقعت وفاته في أول الظهر وقد قال في يوم الأربعاء الماضي: (وفاتي- أو أمري- يكون ظهراً).
وفي الختام أضاف آية الله الحائري قائلاً: فضلا عما تحتويه هذه القصة من صورة واضحة عن إيمان راسخ فهي تتضمن أيضاً آيات عجيبة عديدة يمكن الإشارة إلى بعضها كالآتي:

1. إنه أخبر بأن موته يقع ظهراً وقد حدث ما قاله.
2. المكاشفة التي شاهد فيها أمير المؤمنين (ع)
3. أخبر بأن زاده من الدنيا التربة وهكذا كان قد تناول تلك التربة من غير أن يطلبها أو يحتمل أن ذلك القدح فيه ماء التربة لأنه سأل بحدة: ما هذا وكأنه عازماً على عدم تناوله.

الفصل الثالث

⮝ وفاة الحاج الآخوند تربتي

هناك شخص آخر من أولياء الله له قصة وفاة ذات طابع تربوي جديرة بالاستماع وهو المرحوم الحاج الآخوند تربتي والد الخطيب المعروف المرحوم حسين علي راشد-رحمة الله عليه-.

وصف المرحوم حسين علي راشد في كتاب (فضيلت هاى فراموش شده) أي "الفضائل المنسية" الذي ألفه في سيرة حياة والده قصة وفاته على النحو التالي:

⮝ أسبوع قبل الوفاة

من جملة الأشياء التي لاحظناها- نحن أعضاء الأسرة- منه وبقي معناها غامضاً علينا هي:

إن أبي توفي يوم الأحد 17 شوال عام 1362هـ.ق المصادف من شهر مهر عام 1322هـ.ش بعد ساعتين من شروق الشمس وقد استلقى على ظهره بعد أن صلى صلاة الصبح وأخذ يحتضر فمددوا رجليه باتجاه القبلة وبقي بكامل وعيه حتى اللحظة الأخيرة ويردد بعض الكلمات بهدوء ويبدو أنه كان يعلم بأنه في حالة احتضار فآخر كلمة نطقت به شفتاه (لا إله إلا الله).

⮝ السلام عليكم يا رسول الله

وفي يوم الأحد من الأسبوع الذي سبق وفاته استقلى بعد صلاة الصبح باتجاه القبلة وغطى وجهه بعباءته ولكنه تحرك فجأة وأضاء جميع جسده من رأسه إلى قدميه كأنه الشمس الساطعة من ناقذة الغرفة أو كضوء كاشف سلط على مكان معين وتلألأ لون وجهه- الذي أصفر بسبب المرض- حتى بدا شفافاً من تحت العباءة الخفيفة التي غطى بها وجهه وقال: (السلام عليكم يا رسول الله جئتم لزيارة هذا العبد البسيط).

ثم أخذ يسلم على الأئمة واحداً واحداً ابتداء من أمير المؤمنين (ع) وحتى الإمام الثاني عشر وكأنه يسلم على أشخاص قدموا لزيارته الواحد تلو الآخر ويبدي شكره لقدومهم ثم سلم على السيدة فاطمة الزهراء (ع) ثم سلم على السيدة زينب وهنا بكى كثيراً وقال:

(يا سيدتي لقد بكيت عليك كثيراً).

⅄ السلام على الأم

ثم سلم على والدته وقال: (أنا أشكرك يا أمي على ما أرضعتنيه من حليب طاهر).
واستمرت هذه الحالة لمدة ساعتين من بعد طلوع الشمس ثم زال النور الذي كان يسطع من جسمه ورجع إلى حالته الطبيعية ورجع وجهه إلى ما كان عليه من الاصفرار بسبب المرض وفي يوم الأحد التالي أخذ يحتضر في تلكما الساعتين وفاضت روحه بسكينة.

⅄ لا تؤذني يا حسين

وفي أحد أيام ذلك الأسبوع أي بين هذين اليومين قلت له: إننا نسمع عن طريق الروايات بأشياء غريبة عن الأنبياء والأكابر تجعلنا نتمنى لو أننا نعيشها كي نفهم تلك الأمور. والآن قد شاهدت هذه الحالة عليك وأنت أقرب الناس إلي وأنا أريد أن أعرف ما الذي كان؟ فسكت ولم يجبني وكررت سؤالي عليه مرتين وثلاث بعبارات أخرى إلا أنه لم يجبني.
وفي المرة الرابعة أو الخامسة قال لي: (لا تؤذني يا حسين علي).
قلت: قصدي هو أن تفهمني شيئاً عن تلك الحالة.
قال: (أنا لا أستطيع إفهامك اذهب بنفسك وافهم).
وبقيت هذه الحالة غامضة علي وعلى والدتي وأخي وأختي وعمتي ولا زلت إلى حين كتابة هذه السطور في الساعة 30/9 من صباح يوم الثلاثاء الخامس من شهر رجب عام 1395هـ.ق (24 تير عام 1354 هـ.ش) لا أعرف شيئاً عن هذا الموضوع وأقول فقط : إني شاهدت هذه الحالة.

الفهرس